بسم الله الر حمن الرحيم



جامعة آل البيت

كلية الدراسات الفقهية والقانونية

قسم أصول الدين

آيات النور في القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

Verses of the light (Al-Nour) In the Holy Quran

"Thematic Study"

رسالة ماجستير

إشراف

الدكتور :عبد الرحيم أحمد الزقة

إعداد

الطالب :عبد الله حازم نايف أبو غزاله

الرقم الجامعي:٠٤٢٠١٠٥٠٠٦

قرار لجنة المناقشة

آيات النور في القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

Verses of the light (Al-Nour) In the Holy Quran

"Thematic Study"

إعداد

الطالب :عبد الله حازم نايف أبو غزاله

الرقم الجامعي:٠٤٢٠١٠٥٠٠٦

إشراف

الدكتور:عبد الرحيم أحمد الزقة

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. عبد الرحيم أحمد الزقة	مشرفاً ورئيساً	
أ.د. محمد علي الزغول	عضواً	
أ. د. زياد خليل الدغامين	عضواً	
د. أحمد فريد أبو هزيم	عضواً خارجياً	

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين ،في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها/تعديلها/رفضها بتاريخ: ٤ /٦/ ٢٠٠٩ م

الإهداء

إلى سيد الأنبياء والمرسلين ،عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وآله وصحبه أجمعين.

إلى سليل الدوحة الهاشمية جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين حفظه الله ورعاه.

إلى والدي وشيخي وقرة عيني الحبيب الشيخ حازم أبو غزاله، متعه الله سبحانه وتعالى بالصحة والعافية، وأبقاه ذخرا للإسلام والمسلمين.

إلى من جعلت الجنة تحت أقدامها والدتي.

إلى زوجتي أم محمد، وأولادي محمد وسلام حفظهم الله تعالى.

إلى أساتذتي أصحاب الفضل.

إلى زملائي في وزارة التربية والتعليم، ووزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.

إلى أحبابنا وإخواننا الذين تربطنا بهم أواصر القرابة والمحبة .

وإلى جميع المسلمين في كل زمان ومكان.

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله على نعمائه التي لا تعد ولا تحصى، وجزى الله عنا سيدنا

وحبيبنا رسولنا المصطفى صلى الله عليه وسلم ما هو أهله.

أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة آل البيت متمثلة بأعضائها.

والشكر والتقدير لأهل الفضل والخير وهم كثيرون ،أخص منهم بالذكر

العلماء الأجلاء في جامعة آل البيت الموقرة، وأخص منهم بالذكر مشرفي

على هذه الرسالة الدكتور الفاضل عبد الرحيم أحمد الزقة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل للسادة أعضاء لجنة المناقشة.

وإلى كل من أسهم في إتمام رسالتي .

الباحث

المحتويات

ملخص

"آيات النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية"

إعداد

الطالب :عبد الله حازم نايف أبو غزاله

إشراف

الدكتور :عبد الرحيم أحمد الزقة

يتكون هذا البحث من فصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

أما الفصل التمهيدي: فقد بحثت فيه عن معنى النور لغة واصطلاحا، كما بحثت فيه عن الألفاظ المقاربة للفظة النور.

وأما الفصل الأول: فقد بحثت فيه عن مصادر النور في القرآن الكريم، من خلال: النور الإلهي، والنور في القرآن الكريم، ونور الرسول صلى الله عليه وسلم في هدايته.

وأما الفصل الثاني: فقد بحثت فيه عن أسباب النور وزواله في حياة الإنسان، وقد قسمته إلى قسمين، فأما الأول: فقد جعلته في أسباب النور، وأما الثاني: فقد جعلته في أسباب زوال هذا النور.

وأما الفصل الثالث: فقد بحثت فيه الآثار التربوية لآيات النور في حياة الإنسان، من حصول الولاية والتأييد من الله عز وجل، وفي الثبات على الصراط المستقيم في هذه الحياة، وفي الإحياء القلبي وانشراح الصدر.

ومن ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث والتوصيات.

واتضح لي من هذه الرسالة أن النور في القرآن الكريم ينقسم إلى: نور مادي ومعنوي، ودنيوي وأخروي، كما أن للنور في القرآن الكريم عدة مصادر، وكلها تعود في حقيقتها إلى الله سبحانه وتعالى، كما أن النور في القرآن الكريم له آثار إيجابية على الفرد والمجتمع؛ حيث أن المجتمع المتمسك بالنور الإلهي يختلف مضموناً وشكلاً عن المجتمع الذي يكون بعيداً عن نوره سبحانه وتعالى.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،وبفضله تتم الطاعات ، والصلاة والسلام على من أرسله الله للعالمين رحمة مهداه ،وعلى آله وأصحابه وسلم.

وبعد :

فقد يعجز القلم ويكل الذهن في الكتابة في موضوع مرتبط بالقرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي أسراره.

وإنه لشغفي بهذا الكتاب العزيز، كان هذا الأمر هو الذي أمدني بالطاقة حتى أجمع مادة البحث وأرتبها وأستخلص فوائدها ،ثم أنظمها في عقد نضيد.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في العيش مع واقع القرآن الكريم، وتدبر آياته، في معرفة حقيقة النور، والوسائل التي يجب على المسلم أن يتخذها، وأن يسير وفق منهجها لكي يصل إلى النور الذي جعله الله تعالى مدداً للصادقين والممتثلين لأوامره عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو الطريق الوحيد الذي يأخذ بالعبد إلى حقيقة هذا الدين المبين، ونوره الوضّاء، وبيان أن إتباع النور هو الطريق الوحيد الموصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

.

مسوغات اختيار الموضوع:

مسوغات اختيار لهذا الموضوع ما ألخصه في النقاط الآتية :

- الوقوف على ألفاظ النور في القرآن الكريم ومصادره،وأسباب التوصل إليه، والثمرات المرجوة منه، والدلالات التي ينطوي عليه مفهوم النور في القرآن الكريم من الناحية الروحية والكونية.
- أن النور له مدلولات مختلفة، كلها تخدم وتوضح منهج الحق والهداية .

- استقصاء الحكمة الإلهية من تكرار لفظة النور للوصول إلى المعاني التي تحملها كل آية منها.
- البحث في كتاب الله تعالى وفق المنهج الموضوعي في بحث مادة النور.

مشكلة الدراسة

دراستي لموضوع النور في القرآن الكريم نابع من الآيات الكثيرة التي ذكر فيها النور حيث ذكرت لفظة النُّور في القرآن الكريم ٤٨ مرة في ٣٩ آية ، وهي تحمل كثيرا من المعاني الغنية التي تربي الإنسان على أن يسمو بنفسه من العيش في ظلمات الدنيا وكدرتها إلى العيش بالدنيا وهو متمثل خلافة الله سبحانه وتعالى له.

ويمكن تلخيص مشكلة البحث بما يأتي:

١. بيان الدلالات التي تنطوي عليها معاني لفظة النور في القرآن الكريم من الناحية المادية والمعنوية، والروحية والكونية.

٢. بيان الآثار التربوية لآيات النور التي تظهر في سلوك المسلم اتجاه نفسه، ومجتمعه، وخالقه.

٣. بيان النور الذي يجعله الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وما أوصافهم.

الدراسات السابقة

ولقد أحببت أن أنتظم في سلك خدام القرآن، وأقدم بحثا في هذا الموضوع، مستفيدا من الثلة المباركة من العلماء الأخيار الذين تناولوه بالإيضاح في كتبهم، ولا أدعي أن هذا الشرح نسيج وحده، ولا فريد دهره، فالفضل أولا للسابقين المتقدمين، فمنهم استفدنا، وعلى ضوء آرائهم مشينا، بيد أني جمعت فيه ما تفرق عندهم، وفيه إضافات ما وجدتها في كتبهم.

منهجية البحث

أما منهجية الدراسة فهي منهجية الدراسة الموضوعية للقرآن الكريم[١]، من جمع الآيات القرآنية المتعلقة في الموضوع والنظر في كل آية منها وربطها ببعضها حتى أصل إلى موضوع متكامل، مقسماً الموضوع إلى فصول ومباحث متنوعة حسب موضوع كل واحدة منها.

وقد قسمت البحث إلى فصول ومباحث على النحو الآتي:

الفصل التمهيدي :تعريف النور والألفاظ ذات الصلة

- المبحث الأول : تعريف النور
- المبحث الثاني : الألفاظ ذات الصلة من لفظة النور

الفصل الاول:مصادر النور في القرآن الكريم

- المبحث الأول: النور الإلهي في القرآن الكريم
- المبحث الثاني: نور القرآن الكريم
- المبحث الثالث: نور الرسول صلى الله عليه وسلم في هدايته

الفصل الثاني: أسباب النور وزواله

- المبحث الأول: أسباب النور
- المطلب الأول : الإيمان والتقوى والتوبة
- المطلب الثاني: الذكر والعلم
- المبحث الثاني:أسباب زوال النور
- المطلب الأول :الوقوع في الظلم والظلمات
- المطلب الثاني : التكذيب ومواجهة الحق والنفاق

[١] - انظر : الدغامين ،زياد خليل، منهجية البحث في التفسير الموضوعي في القرآن الكريم ،دار البشير، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م

الفصل الثالث: الآثار التربوية لآيات النور في حياة الإنسان

- المبحث الأول: في الولاية والتأييد من الله
- المبحث الثاني: في الثبات على الصراط المستقيم
- المبحث الثالث: في الإحياء القلبي وانشراح الصدر

ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث والتوصيات.

وختاماً، أسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل المتواضع، وأن يجعل فيه النفع العام للإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل التمهيدي: تعريف النور والألفاظ ذات الصلة

١- المبحث الأول :تعريف النور

٢- المبحث الثاني :الألفاظ ذات الصلة من لفظة النور

المبحث الأول : تعريف النُّور

أولا : النور لغة :

قال ابن فارس:"النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات، منه النُّور والنار، سميا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطربا سريع الحركة ". [١]

وقال ابن منظور:" النُّور: الضياء والنُّور ضد الظلمة، وقيل هو شعاعه وسطوعه" .[٢]

وقال الفيروز آبادي :النُّور بالضم: الضَّوْء أيا كان أو شعاعه.[٣]

والنُّور:"الذي يُبيِّنُ الأشياءَ ويُري الأبصارَ حقيقة ما تراه".[٤]

وهو الضَّوْء الساطع ما به الاهتداء والإدراك.[٥]

كما يطلق على الضَّوْء المنتشر الذي يعين على الإبصار والمتبادر منه ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والمصابيح . [٦]

وجمعه أَنْوارٌ،وقد نارَ نَوْراً وأنارَ واسْتَنَارَ ونَوَّرَ وتَنَوَّرَ بمعنى واحد أي أضاء.[٧]

وتستعار[٨] لفظة النور في معان مجازية :

---

[١] - ابن فارس،احمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٥ ص ٣٦٨ مادة [نور]

[٢] - ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٤ ص٣٧٩

[٣] - الفيروز آبادي،مجد الدين، **القاموس المحيط**، الطبعة الرابعة، دار المأمون، ١٩٣٨م، ج ٢ ص ١٤٩

[٤] - الزبيدي ،محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار صادر،بيروت،ج٣ ص٥٨٧

[٥] - ابن هاديه،علي،وأخرون ،**القاموس الجديد للطلاب**، تقديم محمود المسعدي،الشركة التونسية للتوزيع،ط١٩٨٢،٣م، ص ١٢٥٨

[٦] - السجستاني،جعفر ، **مفاهيم القرآن**، ط ١، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٢ م، ج٦ ص٤٠٠

[٧] - ابن منظور،لسان العرب ج١٤ ص ٣٧٩

[٨] - الإستعارة:"هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي". القزويني، جلال الدين بن عبد الرحمن، شرح التلخيص في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص ٣٣٩

"يقال:نوَّر الصبح تنويرا:أظهرَ نوره، والتنوير:وقت إسفار الصبح، واستنارَ به:أي استمد نوره. والمنار:العلم وما يوضع بين الشيئيين من الحدود "[١]

والمنارة مفعلة من الاستنارة، ومنه منار الأرض:حدودها وأعلامها، وسميت لبيانها وظهورها.[٢]

ونور الله عقل الرجل:اذهب عنه الظلمة وجهله.

ونور الأستاذ المسألة:أوضحها وبينها.

ويقال:هو الذي نور طريق الحق.

واستنار القمر بضوء الشمس أي أنار، واستنار الرجل بصديقه:أي اهتدى.[٣]

من هذه المعاني للنور نلحظ أن العرب قد استخدموا لفظة النور للإشارة إلى النور الحسي المتمثل بالضَّوْء والضياء أو شعاعه، وما يحصل بسببهما من الإدراك والرؤية، وما به يكون الاهتداء إلى الأشياء، فمن غير هذا النور لا يمكن رؤية الأشياء ولا يمكن معرفتها.

[١] - الزبيدي، تاج العروس ج٣ ص ٥٨٧-٥٨٨

[٢] - ابن فارس معجم مقاييس اللغة ،ج ٥ ص ٣٦٨

[٣] - الكرمي،حسن سعيد،**الهادي إلى لغة العرب**،دار لبنان، بيروت ، ١٩٩٢م ، ج٤ ص٣٧٩

ثانيا : النُّور اصطلاحاً

إن البحث والاستقراء للفظة النور في معناها اللغوي تُمهّد وتُقرب المعنى الاصطلاحي لما بينهما من العلاقة الوطيدة والصلة الوثيقة، ولقد وردت تعريفات للفظة النور في اصطلاح العلماء جاءت كما يلي :

عرف الإمام الجرجاني-رحمه الله- النُّور:"بأنه كيفيةٌ تدركها الباصرةُ أولاً وبواسطتها سائر المبصرات"[١]. والمقصود بالباصرة : هي العين التي فيها الإبصار. [٢]

وذكر الإمام الغزالي-رحمه الله- عدة تعريفات للنُّور وهي :

أولاً: "هو الكيفيةُ الفائضةُ من الشمس والقمر والنار على الأرض والجدران وغيرهما".[٣]

ثانياً: "ما يُبصر بنفسه ويُبصر به غيره".[٤]

ثالثاً :"هو الظاهر الذي به كل ظهور ،فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا".[٥]

نلحظ أن التعريف الأول للنور وثيق الصلة بالتعريف اللغوي الذي يكون به انكشاف الأشياء للأبصار بواسطة الشعاع الخارج من مصدر الضوء ، وأما التعريف الثاني والثالث فقد أطلق النور بشكل أعم على كل ما يكون ظاهراً بنفسه، أي : يستطيع الإنسان أن يدركه، وهو يظهر بنوره الأشياء ويبينها.

والنُّور: "هو الذي يعين على الإبصار بالعين فهو النُّور المحسوس أو بالبصيرة فهو نور العقل ونور اليقين ونور الإيمان ونور الهدى" [٦]، وهو الذي يبين الأشياء ويرى الأبصار حقيقة ما تراه.[٧]

---

[١] - الجرجاني،الشريف علي بن محمد،**التعريفات**،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٣ ،١٩٨٨م ص٢٧٤

[٢] - انظر :الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الحسيني بن الحسن بن علي التميمي البكري، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، دار الكتب العلمية،ج٢٣ ص١٩٦

[٣] - المصدر السابق ج١٢ ص١٢

[٤] - الغزالي ،أبو حامد، **مشكاة الأنوار** ،تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي،الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ القاهرة ص٤٥

[٥] - الغزالي،ابو حامد،**المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**،تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة دار القرآن،القاهرة ص١٢٩ -١٣٠

[٦] - الحفني،عبد المنعم، **تجليات في أسماء الله الحسنى**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م ،ص ٤٥٦

[٧] - الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، ج٤ ص٤٧

وعرف الراغب الأصفهاني النُّور تعريفاً جمع فيه بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، ثم قسم النُّور إلى قسمين: دنيوي وأخروي فقال:"النُّور هو الضَّوْءُ المنتشر الذي يعين على الإبصار. وذلك ضربان دنيوي وأخروي،فالدنيوي ضربان ضرب معقول بعين البصيرة-وهو القلب- وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات.

فمن النُّور الإلهي قوله تعالى: { قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ }[المائدة:١٥].. وقال: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ }[الزمر:٢٢]،وقال: { نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ }[النور:٣٥]، ومن المحسوس الذي بعين البصر نحو قوله: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً }[يونس:٥]،وتخصيص الشمس بالضَّوْء والقمر بالنُّور وذلك لأن الضَّوْء أخص من النُّور٠قال تعالى: { وَقَمَراً مُّنِيراً }[الفرقان:٦١]، أي ذا نور٠ومما هو عام فيهما بقوله: { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ }[الأنعام:١]،وقوله : { وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ }[الحديد:٢٨]،و {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا }[الزمر:٦٩]، ومن النُّور الأخروي قوله تعالى : { يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم }[الحديد:١٢]،و { وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ }[التحريم:٨]". [١]

فمن التعريفات السابقة للنور نلحظ أن العلماء رحمهم الله تعددت تعريفاتهم للنور، وكلها تدور على ما يكون به الانكشاف والإظهار والاهتداء وانجلاء الأمور والأشياء، و أن أشملها تعريفا للنور هو تعريف الراغب الأصفهاني، الذي تحدث عن أقسام النور، وبين أن النور يكون وقوعه بين حسي ومعنوي، وبين دنيوي وأخروي، كما أنه استدل بآيات من القرآن الكريم في تقسيمه يشمل ذلك الأمور المادية التي تدرك بالبصر، والمعنوية التي تعقل بالبصيرة، وسواء كان الانكشاف به للعين عن طريق الضوء، أم الانكشاف به للعقل عن طريق العلم به.

[١] - الأصفهاني،الحسين بن محمد،**المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد الكيلاني مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، الطبعة الأخيرة، ١٩٦١م ،ص ١٥٤

المبحث الثاني :الألفاظ ذات الصلة من لفظة النُّور

إن الألفاظ العربية لها دلالاتٌ واسعة مختلفة، كل لفظة منها تحمل أكثر من معنى، وفي القران الكريم عدد من الألفاظ التي تحمل في مبناها ودلالاتها معنى النُّور، ولكنها في الحقيقة لها دلالة تختلف عن الأخرى، فليس هناك كلمة في القرآن الكريم يمكن أن تستعمل بدل كلمة أخرى جاء بها. من تلك الألفاظ التي تحمل في مبناها معنى النور[١] : الضَّوْء، الإشراق، السنا، الوهج، النار.

١. الضَّوْء:قال ابن فارس:"الضاد والواو والهمزة أصل صحيح يدل على النُّور من ذلك الضَّوْء، والضُّوْء بمعنى وهو الضِّياء والنُّور قال تعالى: { فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ }[البقرة:١٧]".[٢] وفي اللسان:الضَّوْءُ والضِّياءُ ما أضاءَ لك[٣].

ولقد فرق الراغب الأصفهاني بين النور والضياء إذ قال:" ومن المحسوس الذي بعين البصر نحو قوله: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً }[يونس:٥]،وتخصيص الشمس بالضَّوْء والقمر بالنُّور وذلك لأن الضَّوْء أخص من النُّور٠قال تعالى: { وَقَمَراً مُّنِيراً }[الفرقان:٦١]، أي ذا نور".[٤]

وإنما جعلت الشمسُ ضياءً لأن الضياء اخص من النُّور، إذ الضَّوْء نور قوي، ومعنى النُّور أوسع وأعم من معنى الضَّوْء الذي يبدد الظلمات لذلك كان النور أعم من الضَّوء.

فإذا قيل :لماذا قال الله تعالى:{ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ }[البقرة:١٧] ولم يقل بضيائهم مع أنهم أوقدوا النار ليحصلوا على الضوء ؟

وجوابه :انه لازم من نفي الأعم نفي الأخص إذ لو نفى عنهم الضَّوْء لجاز أن يتوهم بقاء النور، فإذا نفي عنهم النُّور الذي هو اعم لزم منه نفي الضَّوْء الذي هو اخص[٥].

وممن فرق بين النور والضياء الشيخ الشعراوي عند شرحه لقوله تعالى : {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً }[يونس:٥]، إذ قال: "نجد أن الضوء أقوى من النور، والضوء لا يأتي إلا

---

[١] - إسكندر،نجيب،**معجم المعاني للمترادفات والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير**،الأفاق العربية، القاهره ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص٣٨٥

[٢] - ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة ج٣ ص٣٧٦ مادة [ضوأ]

[٣] - ابن منظور،لسان العرب ج١ ص١١٢

[٤] - الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ص١٥٤

[٥] - السمين الحلبي، احمد بن يوسف ،**عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ**،تحقيق محمد باسل عيون السود، ،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ،ج٤ ص٩٦

من شعاع ذاتي، فالشمس ذاتية الإضاءة ،ولكن القمر يستقبل الضوء ويعكس النور، قبل أن تشرق الشمس تجد في الكون نورا، ولكن الضوء يأتي بعد شروق الشمس.

فلو أن الحق تبارك وتعالى قال ذهب الله بضيائهم لكان المعنى انه سبحانه وتعالى ذهب بما يعكس النور، ولكنه أبقى لهم النور، ولكن قوله تعالى :{ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ }[البقرة:١٧]، معناها انه لم يبق لهم ضُوءًا ولا نورا فكأن قلوبهم يملؤها الظلام، ولذلك قال تعالى بعدها { وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ }[البقرة:١٧]، ليصح انه لا يوجد في قلوبهم أي نور ولا ضوء إيماني." [١]

ثم بين الأمام الشعراوي أن الحاسة الوحيدة التي لا تعمل من غير النور هي العين فقال:" والنور ليس له علاقة إلا بالبصر من الحواس فإذا امتنع النور امتنع البصر، أي أن العين لا تبصر بذاتها ولكنها تبصر بانعكاس النور على الأشياء، ثم انعكاسه قال تعالى" {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً }[الإسراء:١٢] فكان الذي يجعل العين تبصر هو الضوء أو النور فإذا ضاع النور ضاع الإبصار، ولذلك فأنت لا تبصر الأشياء في الظلام" [٢]،وهذا ما يبينه الله تعالى بقوله: { وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً }[الإسراء:٥٩]

٢. الإشراق: شَرَقَ :قال ابن الفارس: الشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءة وفتح، من ذلك شرقت الشمس:إذ طلعت وأشرقت إذا أضاءت[٣]

ولقد ذكر الله تعالى هذه اللفظة مقترنة بلفظة النُّور فقال: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا }[الزمر:٦٩].قال ابن كثير: "أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء"[٤]

وقال أبو السعود-رحمه الله-: "وأشرقت الأرض بنور ربها بما أقام فيها من العدل، استعير له النور لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة، وفي الحديث (الظلم ظلمات يوم

---

[١] - الشعراوي ،**تفسير الشعراوي**، مجمع البحوث الإسلامية، الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة١٩٩١م ج١ ص ١٧١

[٢] - المصدر السابق ص ١٧٣

[٣] - ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة ج٣ ص٢٠٤ مادة [شرق]

[٤] - ابن كثير ،اسماعيل القرشي، **تفسير القران الكريم**، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ط٢، ١٩٩٨م ج٤ ص٨٢

القيامة)[١]، ولذلك أضيف الاسم الجليل إلى ضمير الأرض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف إلى الاسم الجليل" [٢].

وقال تعالى: {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ }[ص:١٨]. "وقت الإشراق: وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها"[٣].

من ذلك يتضح أنَّ الإشراق صلته بالنور أنه يبين الأمور والأشياء، ولكنه نابع من طلوع الشمس بعد غروبها فهو يكون في الصباح فقط، وهو أول خروج الشيء لذلك يسمى خروج الشمس من جهة الشرق إشراقا، فهو إذا خروج الضوء في بدايته في حين أن النور في استمراره.

٣. السَّنا : الضَّوْءُ،وحَدُّ مُنْتَهى ضوْءِ البرْق.[٤]

وجاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم بالمعنى السابق، قال تعالى: { يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ }[النور:٤٣].أي ضوء برقه [٥].

وقال الراغب الأصفهاني:"الضَّوْء الساطع "[٦] .

وبذلك يكون السنا من الكلمات التي تحمل معنى النور؛وذلك لأن النور منه الإضاءة والوضوح، والسنا كذلك غير أن السنا فيه إشارة إلى قوة هذا الضوء ووضوحه وسرعة ظهوره وذهابه وعدم القدرة من الاستفادة منه.

٤. الوهج: قال ابن فارس:" الواو والهاء والجيم كلمة واحدة، وهي الوهج حر النار وتوقدها "[٧]. وقال الأصفهاني:"حصول الضَّوْء والحر من النار قال تعالى:{وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا}[النبأ:١٣] :أي مضيئا"[٨].

---

[١] - رواه البخاري في صحيحه، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج٢ ص ٨٦٤، رقم الحديث : ٢٣١٥

[٢] - ابو السعود،محمد بن محمد العمادي، **ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ج٧ ص٢٦٣

[٣] - البيضاوي،عبد الله بن عمر الشيرازي،**أنوار التنزيل وأسرارالتأويل**، ص٤٠

[٤] -ابن منظور،لسان العرب ج١٤ ص٤٠٣ مادة[سنا]

[٥] - البيضاوي ،أنوار التنزيل ١٩٤

[٦] - الأصفهاني ،المفردات في غريب القران ص٢٤٥

[٧] -ابن فارس،معجم مقاييس اللغة ج٦ ص١٤٧ مادة[وهج]

[٨] - الأصفهاني ،المفردات في غريب القران ص٥٣٣

فالوهج في هذه الآية أخذت المعنى الحقيقي للنور إلا أن هناك فرقا كبيرا بين الوهج والنور، وهو أن الإنسان لا يستطيع أن ينظر إلى الوهج كوهج الشمس لأنه يؤذي العين، وأما النور فلا يؤذي العين كنور القمر. لذلك فرق الله سبحانه وتعالى بين نور القمر وضوء الشمس بقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا}[الفرقان:٦١].ووصف السراج بالوهاج قال تعالى: {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا} [النبأ :١٣]

٥. النار: وهي من الألفاظ المقاربة للنور، وقد عرف أبو البقاء الكفوي النار في معرض حديثه عن النور، حيث قال :"النُّور:هو الجوهر المضيء، والنار كذلك غير أن ضوءَ النار مكدرٌ مغمور بدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق، وإذا صارت مهذبة ومصفاة كانت محض نور متى نكصت عادت الحالة الأولى جذوة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف، فالنُّور من جنس واحد وهو النار بخلاف الظلمة إذ ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل، وظله الظلمة وليس لكل جرم نور، وهذا كوحدة الهدى وتعدد الضلال لأن الهدى سواء كان المراد به الإيمان أو الدين هو واحد، أما الأول فظاهر وأما الثاني فلأن الدين مجموع الأحكام الشرعية والمجموع واحد ،والضلال متعدد على كلا التقديرين، أما على الأول فلكثرة الاعتقادات الزائغة أما الثاني فلانتفاء احد الأجزاء فيتعدد الضلال بتعدد الانتفاء."[١]

ويلاحظ أن الكفوي قد تحدث عن المعنيين الحسي والمعنوي للنور، كما بين أن النُّور مهما تعددت طرقه وتنوعت وسائله فهو واحد ومصدره واحد، وهو الله تعالى الذي أقام علينا الحجة بهذا الدين السمح الحنيف المتكون من الأحكام الشرعية والمعاملات والأخلاق، وعكس النور الظلمة، والظلمة متعددة بتعدد طرقها واختلافها عن بعضها وعدم اجتماعها ؛لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى وحد لفظ النور في كتابه العزيز وجمع الظلمات كقوله تعالى : {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ }[البقرة:٢٥٧]

وقد ذكر الزبيدي-رحمه الله-أن النُّور قد يراد به النار، وقد تطلق النار ويراد به النُّور إذ قال:"ومما يستدرك عليه النُّور والنار قول عمر إذ مر على جماعة يصطلون بالنار:"السلام عليكم أهل

[١] - الكفوي، أبو البقاء ايوب ، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق**، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق ١٩٧٦، ص٩٠٨

النُّور" كره أن يخاطبهم بأهل النار، وقد تطلق النار ويراد بها النُّور،كما في قوله تعالى : {إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى }[طه:١٠]".[١]

وذلك لأن النور هو جزء من أجزاء النار مع أن فيها حرارة ودخاناً لكنهم يستضيئون بها،وهذا لا يوافق دلالة السياق فليس هناك كلمة يمكن أن تستعمل بغير كلمة جاء بها القرآن ،فالنار ليست نورا ،حيث إن سيدنا موسى-عليه السلام-رأى جزأ من أصل النار وهو النور ،فاعتقد أن هناك أصلا له وهو النار ،لذلك قال الله تعالى { آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ }[طه:١٠].

القبس: هي شعلة النار[٢]،فالقول بكون النار والنور بنفس المعنى كلام مردود بنص الآية ، والمعلوم أن الله سبحانه وتعالى فرق بينهما في الآية السابقة.

وبهذا يظهر لنا ما بين النور وهذه الألفاظ المقاربة من علاقات ودلالات، ولكن لكل واحدة منها خصائص تختلف عن الأخرى، وإن كان بينها عموم وخصوص.

---

[١] - الزبيدي ، تاج العروس، ج٧ ص ٥٦٨

[٢] - ابن فارس،معجم مقاييس اللغة ج٥ ص٣٩

الفصل الأول: **مصادر النور في القرآن الكريم**

المبحث الأول: النور الإلهي في القرآن الكريم

المبحث الثاني: نور القرآن الكريم

المبحث الثالث: نور الرسول صلى الله عليه وسلم في هدايته

المبحث الأول :النور الإلهي في القرآن الكريم

المطلب الأول : اللّه نور السماوات والأرض

إن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ومظهره من العدم إلى الوجود، فكل مخلوق مفتقر في وجوده إليه سبحانه وتعالى، وقد ضرب سبحانه وتعالى في كتابه العزيز كثيرا من الأمثلة الدالة على وجوده وعلى بيان قدرته في تلك المخلوقات من هذه الآيات قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[النور:٣٥].

وهذه الآية جاءت في سورة النور، هذه السورة التي تشتمل على أحكام وآداب فرضها الله تعالى لإقامة المجتمع الإسلامي؛ المجتمع المثالي النظيف الطاهر الذي يتمتع أعضاؤه بهدوء البال، وسكون الخاطر، وسلامة الأهل والمال من الضياع، وعدم تعرض الحرمات للهتك والاستهتار، فهي معنية بتحقيق تلك المقاصد الراقية، يكن كل فرد فيه لأخيه الشعور بالإحترام والكرامة، فلا تحدث نفسه بسوء، ولا يمر ببال أحد تدبير مكيدة للآخر، ولا إيذاؤه بأية وسيلة، فلا يبقى لسوء الظن فيه مجال، ولا للنميمة موقع؛ لأن القلوب نظيفة من الحسد والحقد، والنفوس ظاهرة من العداوة والبغضاء.

وقد اشتملت هذه السورة على قوانين صارمة، وآداب وتكاليف حاسمة، كفيلة لإقامة مثل هذا المجتمع.[١]

وآية النور جاءت في وسط هذه السورة التي سميت بها، بين تلك التوجيهات والتشريعات التي تنير القلوب، التي إذا تمسك بها الإنسان عاش في حفظ الله تعالى بعيداً عن تلك الأخطار التي تحدق بالمجتمعات الإنسانية، وكان على نور في حياته من الله تعالى.

---

[١] ـ انظر الحراني، ابن تيمية، **تفسير سورة النور**، الدار السلفية، بومباي، ص ١٠ ـ ١١

إن كل نور في الكون مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى، فنور الشمس والقمر وغيرها من الأنوار التي تدرك بالحواس هي من نور الله تعالى، وكذلك نور القرآن، ونور النبي صلى الله عليه وسلم، ونور المؤمن وغيرها من الأنوار التي تدرك بالعقل والقلب كلها منه سبحانه وتعالى .

لقد تعددت تفاسير المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة، وخاصة فيما تضمنته من الكلام عن نور الله سبحانه وتعالى، وإطلاق النور عليه، وفي تمثيل هذا النور، فكل مفسر من المفسرين اجتهد وأصَّل في هذه المسألة، ومنهم من خصص بحثا في هذه الآية مثل كتاب (مشكاة الأنوار للإمام الغزالي _رحمه الله _).

وقد قمت في هذا البحث باستقراء لكتب التفسير، فجاءت معاني النور في قوله الله تعالى :"الله نور السموات والأرض" على عدة معانٍ وهي:

١. الهداية: أنه سبحانه وتعالى هادي من في السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون. فعن أنس بن مالك _رضي الله عنه_قال:"إن إلهي يقول:نوري هداي " [١] وهو سبحانه الهادي يهدي لنوره من يشاء، ويخص به عباده المخلصين، ويجعل لهم نورا ويشرح صدورهم للإسلام.[٢]

فالنور سبب للظهور والهداية، فلما شاركت الهداية النور في هذا المعنى صح إطلاق اسم النور عليها كقوله تعالى: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ }[البقرة:٢٥٧].

٢. المدبر:أنه سبحانه وتعالى مدبر السماوات والأرض، يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما.[٣] بحكمة بالغة وحجة نيرة[٤] فكل من التدبير والنور سبب للاهتداء إلى المصالح.[٥]

---

[١] - الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تفسير آي القرآن**، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ،مؤسسة الرسالة ،٢٠٠٠ م ج١٩ ص ١٧٧

[٢] - الحفني ،تجليات في أسماء الله الحسنى ص٤٧٦

[٣] - الطبري،جامع البيان ج١٩ ص ١٧٧

[٤] - الرازي،التفسير الكبير ج٢٣ ص١٩٥

[٥] - الآلوسي، محمود شكري، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان ج١٨ ص ١٦٤

٣. الظهور:أي أنه سبحانه وتعالى منه ظهور السماوات والأرض[1]، فهو المظهرُ للخلق من العدم إلى الوجود، والوجودُ ظهور ونور، والعدم ظلمة، وهو سبحانه وتعالى الظاهر في نفسه الموجود في ذاته لا يقبل العدم ولا يسري عليه الفناء[2].

فيرجع اسم النُّور إلى معنى ظهور وجوده ببرهان البداهة والعقل، كما أن النُّور ظاهر للعيون بدليل الحس.[3] .

و قد قسم اسماعيل حقي -رحمه الله- النور إلى أربعة أقسام، وجعلها على مراتب، فقال: "النور على أربعة أوجه[4]:

أ. نور يُظهر الأشياء للأبصار وهو لا يراها كنور الشمس وأمثالها فهو يظهر الأشياء المخفية في الظلمة و لا يراها.

ب.نور البصر وهو يظهر الأشياء للأبصار ولكنه يراها، وهذا النور أشرف من الأول

ج.نور العقل وهو يظهر الأشياء المعقولة المخفية في ظلمة الجهر للبصائر وهو يدركها ويراها

د. نور الحق تعالى وهو يظهر الأشياء المعدومة المخفية في العدم للأبصار والبصائر من الملك والملكوت وهو يراها في الوجود كما كان يراها في العدم لأنها مثبتة في علم الله تعالى، وإن كانت معدومة في ذواتها، فما تغير في علم الله ورؤيته بإظهارها في الوجود بل كان التغيير راجعا إلى ذوات الأشياء وصفاتها عند الإيجاد والتكوين، فتحقيق قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض} مظهرهما ومبديهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الأزلية."

٤. منور السماوات والأرض: تنويره سبحانه وتعالى إياهما بما فيهما من الآيات التكوينية والتنزيلية الدالة على وجوده ووحدانيته وسائر صفاته عز وجل والهادية إلى صلاح المعاش والمعاد[5]،

---

[1] - ابن عاشور ،محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، ج ١٨ ص ٢٣١

[2] - الحفني ،تجليات في أسماء الله الحسنى ٤٧٥

[3] - حبنكة، عبد الرحمن حسن ،**العقيدة الإسلامية وأسسها**،الطبعة الثانية عشر ،دار القلم، دمشق ،٢٠٠٤م ، ص ١٤٠

[4] - حقي ،اسماعيل حقي، **تفسير روح البيان** ،دار الفكر، ج٦ ص١٥٣

[5]- الآلوسي،روح المعاني ج١٨ ص١٦٥

منورهما بكل نور حسي نراه ونسير فيه وبكل نور معنوي كنور الحق والعدل والعلم والفضيلة والهدى والإيمان[١] ، منور السماوات بالكواكب المضيئة والأرض بالشرائع والأحكام وبعثة الرسل الكرام.[٢]

وقد ذكر الرازي فيها ثلاثة أوجه: [٣]

أ. أنه سبحانه وتعالى منور السماء بالملائكة، والأرض بالأنبياء والعلماء

ب. أنه زين السماء بالشمس والقمر والكواكب، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء

ج. أنه منورهما بالشمس والقمر والكواكب

٥. الموجد:قال الإمام الشوكاني –رحمه الله -: "يجوز إطلاق النُّور على الله سبحانه وتعالى على طريقة المدح، ولكونه أوجد الأشياء المنورة وأوجد أنوارها ونورها ويدل على هذا المعنى قراءة زيد بن علي وأبي جعفر وعبد العزيز المكي" الله نور السماوات والأرض" على صيغة الفعل الماضي وفاعله وضميره يرجع إلى الله تعالى، والسماوات مفعولة، فمعنى الله نور السماوات والأرض انه سبحانه صيرهما منيرتين باستقامة أحوال أهلهما وكمال تدبيره عز وجل لمن فيهما."[٤]

وذهب الآلوسي إلى هذا المعنى فقال :"الله نور السماوات والأرض؛ كأنه قيل الله موجد السماوات والأرض، ووجه ذلك بأنه مجاز مرسل باعتبار لازم معنى النور وهو الظهور في نفسه وإظهاره لغيره، وقيل هو استعارة والمستعار منه النور بمعنى الظاهر بنفسه المظهر لما سواه، والمستعار له الواجب الوجود والموجد لما عداه".[٥]

نلحظ أن الآلوسي-رحمه الله-عرف النور بمعنى موجد السماوات والأرض ثم جعل التعريف بمعنى ظهوره تعالى وإظهاره لغيره، وإلى هذا أشار البيضاوي إذ قال :"وأصل الظهور: الوجود كما أن اصل الخفاء :هو العدم، والله تعالى موجود بذاته موجد لما عداه"[٦].

---

[١]- القطان، إبراهيم،**تيسير التفسير**، ،الطبعة الأولى، عمان، ١٩٨٣م ، ج٣ ص٢٥٩

[٢]- الصابوني، محمد علي ،**صفوة التفاسير**،الطبعة الرابعة،دار القرآن الكريم ،بيروت ١٩٨١م ، ج٢ ص ٣٤

[٣]- الرازي،التفسير الكبير ج٢٣ ص١٩٥

[٤] - الشوكاني ،فتح القدير ج٤ ص ٤٧

[٥] - الآلوسي ،روح المعاني ج١٨ ص ١٦٤

[٦] - البيضاوي ،أنوار التنزيل ص ٤٦٩

٦. ناظم السماوات والأرض على الترتيب الأحسن، فإنه قد يعبر بالنور عن النظام[١] ،فبنوره وبقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها وقامت مصنوعاتها.[٢]

٧. ضياء السماوات والأرض [٣]، فبقدرته سبحانه وتعالى قد أضاء الكون واستنار على الوجه الأكمل، والنظام البديع.

٨. بمعنى صاحب: أي أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب النُّور في السماوات والأرض وهو خالق ذلك النُّور الحسي منها، وهو صاحب النُّور فيهما بمعنى انه هو الذي بث فيهما من كمال النظام وحسن التدبير ما لو تفكر فيه إنسان كعقل حر لأمن به إيمانا كاملا.[٤]

قال الزمخشري:"الله نور السماوات والأرض، بمعنى ذو نور السماوات والأرض وصاحب نور السماوات والأرض ونور السماوات والأرض الحق، شبهه بالنور في ظهوره وبيانه". [٥]

وقال البقاعي :"أي ذو نور السماوات والأرض؛ لأنه مظهرهما بإيجادهما وإيجاد أهلهما وهاديهم بالتنوير بالعلم الجاعل صاحبه بهدايته إلى الصراط المستقيم، كالماشي في نور الشمس لا يضع شيئاً في غير موضعه كما أن الماشي في النور لا يضع رجلا في غير موضعها اللائق بها".[٦]

وقد ذهب الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه مشكاة الأنوار الذي خصصه لهذه الآية التي نحن بصددها إلى أن النور يطلق على الله سبحانه وتعالى على الحقيقة وأنه هو نور الأنوار، وبعد ما تتبعت لأقواله تبين أن إطلاقه النور عليه سبحانه لا يقصد به الإطلاق الحقيقي للفظة النور بالمعنى اللغوي أو ذلك النور المشع فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وإنما هو إطلاق على الله سبحانه وتعالى من أنه الظاهر بنفسه، المظهر لغيره، فهو سبحانه وتعالى موجد الأشياء كلها ومدبر أمرها ومنظم أحوالها

---

[١] - الرازي،التفسير الكبير ج ٢٣ ص ١٩٥

[٢] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ص ٢٥٦

[٣] - الطبري،جامع البيان ج١٩ ص ١٧٨، وابن كثير،تفسير القرآن العظيم ص ٣٨٧ ج ٣

[٤] - حجازي،محمد محمود،**التفسير الواضح**، الطبعة الخامسة،مطبعة الإستقلال الكبرى،١٩٦٤ م، ج٢ ص ٧٢

[٥] - الزمخشري، جار الله محمود بن عمر ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الفكر، ج٣ ص ٢٤٥-٢٤٦

[٦] - البقاعي، إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي،دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ، ج ٥ ص٢٦٣

فمنه صدورها ووجودها، فهو سبحانه وتعالى واجب الوجود، وغيره ممكن الوجود، فهو الأول سبحانه وتعالى بلا بداية وهو الآخر بلا نهاية.[1]

لذلك قال : "هو الظاهر الذي به كل ظهور، فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا، ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود ولا ظلام اظلم من العدم، فالبريء عن ظلمة العدم، بل عن إمكان العدم، والمخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمى نورا ."[2] وقال :" والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته فهو نور السماوات والأرض، وكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهي دالة على وجود الشمس المنورة، فلا ذرة من موجودات السماوات والأرض وما بينهما إلا وهي بجوار وجودها دالة على وجوب موجدها ".[3]

وبعد التتبع لمعاني النور التي ذكرها العلماء رحمهم الله أجد أن إطلاق النور على الله سبحانه وتعالى بمعنى الظهور والوجود أعم التعاريف السابقة، وذلك لأنه سبحانه وتعالى خالق الأشياء ومظهرها من العدم إلى الوجود ، فكل شيء من الأشياء هو مثبت في علم الله تعالى قبل ظهوره إلى الوجود، يُخصص بإرادته ويظهر بقدرته سبحانه وتعالى،يقول عز من قائل: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }[النحل:٤٠] فقوله سبحانه وتعالى لشيء دليل على كونه مثبتاً في علمه سبحانه وتعالى، وبقول الله تعالى له كن يظهر إلى عالم العيان، فالظهور يشمل معنى وجوده الحق سبحانه وتعالى، ويشمل معنى الإيجاد والإظهار، وهذان المعنيان يشملان معانٍ أخرى للنور:كالتدبير والنظام والزينة والتنوير والهداية والضياء ؛ وذلك لأن كل مخلوق من مخلوقات الله تعالى يكون وفق تقدير ونظام، كما قال الله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }[القمر:٤٩] ،ويقول تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[يس:٤٠] فالمتفكر في خلق الله سبحانه وتعالى يجد فيه من النظام والتدبير والزينة والهداية ما يجعله مندهشا من عظيم صنعه وقدرته سبحانه وتعالى، وإلى ذلك يشير سبحانه وتعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}[السجدة:٧] وقوله تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى }[طه:٥٠] ، لذلك ربط الله سبحانه وتعالى الخشية والتقوى بالعلم فقال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }[فاطر:٢٨] .

[1] - انظر الغزالي ، مشكاة الأنوار ، ص٤١- ٥٨

[2] - الغزالي ،المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ص١١٥

[3] - المصدر السابق ص ١١٦

- إضافة النور إلى السماوات والأرض

ذكر الإمام الآلوسي-رحمه الله- أسباب إضافة النور إلى السماوات والأرض في عدة أمور:[١]

١. لأنهما المقر المعروف للمكلفين المحتاجين لما يدلهم ويهديهم إليه.

٢. للدلالة على سعة إشراقه سبحانه وتعالى ، ولاشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية ومقصور الإدراك البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما.

٣. أن المراد به العالم كله كإطلاق المهاجرين والأنصار على جميع الصحابة رضي الله عنهم

- تمثيل نور الله تقريبا للأذهان

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى أنه نور السماوات والأرض، ذكر لهذا المخلوق الضعيف مثالاً يقرب ويبين دلالة السماوات والأرض وما فيهما على وجود خالق قادر لهما يظهرهما من العدم إلى الوجود بقدرته وإرادته وعلمه سبحانه وتعالى ويجعلهما في نظام متكامل ومتناسق على أتم وجه.

يضرب هذا المثل لنوره سبحانه وتعالى ليقرب للإنسان الأمور المعقولة بالمثال المحسوس، ويجعل هذا المثال قريبا منه حتى كأنه لا يفارقه فهو محتاج إليه كل يوم ولا يستغني عنه إطلاقا، وهذا المثال يتعلق بحياة الناس لا يستغنون عنه إطلاقا ، يضرب هذا المثال بالمصباح فيقول عز من قائل: "مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [النور:٣٥] .

فالمثل :"هو عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره"[٢]

[١] - الآلوسي،روح المعاني ص ج ١٨ ص ١٦٥

[٢] - الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ٤٦٤

والمشكاة:لفظة عربية بمعنى كل كوة في الحائط غير نافذة.[١]

وذكر ابن عاشور فرقا بين المشكاة والكوة فقال:"المشكاة المعروفة من كلام أهل اللغة أنها فرجة في الجدار مثل الكوة لكنها غير نافذة فان كانت نافذة فهي الكوة [٢]

وأما دخول الكاف عليها لاشتمالها عليه [٣]

"فيها مصباح":أي السراج [٤] وقيل هو اسم للإناء الذي يوقد فيه بالزيت للإنارة[٥]، وقيل هو الفتيل بناره[٦]، والأول أصح لاشتماله عليها.

"المصباح في زجاجة":الزجاج هو اسم إناء يصنع من الزجاج وهو جسم شفاف يظهر فيه النور أكمل ظهور.[٧]

وعلل البقاعي-رحمه الله- ذلك بقوله:"إذا كان في زجاجة مصباح انعكست الأشعة المتفصلة عنه من بعض جوانب الزجاجة إلى بعض لما فيها من الصفاء والشفيف فيزداد النور". [٨]

"الزجاجة كأنها كوكب دري" :أعاد تكرار لفظة الزجاجة لبيان صفاء هذه الزجاجة ونقائها ووضوحها وشبهها بالكوكب الدري.

والكوكب:هو النجم، وشبهه بالكوكب دون الشمس والقمر لأنهما يعتريهما الخسوف والكسوف.[٩]

والدري:نسبة إلى الدر لكون فيه من الصفاء والحسن ما يشابه الدر [١٠] فهي لصفائها وجودة جوهرها بحيث ترى كالكوكب الشديد الإضاءة.[١١]

---

١ - الكفوي،الكليات ص١٨٢
٢ - ابن عاشور ،التحرير والتنوير ج ١٨ ص٢٣٥
٣ - البيضاوي ،أنوار التنزيل ص ٤٦٩
٤ - الكفوي ،الكليات ص١٨١
٥ - ابن عاشور،التحرير والتنوير ج١٨ ص٢٣٦
٦ - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٢٥٨
٧ - الشوكاني،فتح القدير ج٤ ص٤٨
٨ - البقاعي،نظم الدرر ج٥ ص٢٦٤
٩ - انظر البقاعي،نظم الدرر ج٥ ص٢٦٤، ابن عاشور،التحرير والتنوير ج١٨ ص٢٣٨
١٠ - الشوكاني،فتح القدير ج٤ ص٤٨
١١ - انظر القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص ٢٥٨

"يوقد من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية"

يوقد: من الإيقاد وهو موضع الوقود، وهو ما يزاد في النار المشتعلة ليقوى لهبها، وأريد به هنا:ما يمد به المصباح من الزيت[١].

من شجرة: أي ابتداء إيقاده من زيت شجرة. مباركة: كثيرة النفع، وقيل إنما وصفت بالبركة لأنها نبتت في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين[٢].وذكره سبحانه وتعالى لنوع الشجرة بعد أن كانت نكره تفخيم لشأنها وتعظيم لها.[٣]

"لا شرقية ولا غربية":تعددت تفاسير المفسرين في معنى قوله تعالى: {لا شرقية ولا غربية} إلى أقوال عدة: [٤]

١. إن هذه الشجرة ليست من أشجار الدنيا إذ لو كانت من أشجار الدنيا لكانت إما شرقية أو غربية.

٢. إن هذه الشجرة تلتف بها الأشجار فلا تصيبها الشمس لا إذا شرقت ولا إذا غربت.

٣. إن المراد بالشجرة التي تبرز على جبل عال أو في صحراء واسعة فتطلع الشمس عليها حالتي الشروق والغروب أي أنها لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية وغربية.

والقول الثالث هو الأصح لان الشجرة التي تكون منكشفة للشمس طوال النهار يكون ثمرها أحسن وأنضج وزيتها أصفى.

لذلك قال تعالى في وصف زيتها وأنه على شدة عالية في النقاء والصفاء : {يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار}:أي يكاد زيت هذه الشجرة التي تصيبها الشمس طوال النهار من طلوع الشمس إلى غروبها يضيء ويلمع من صفائه وحسنه دون أن تمسه نار، فكيف إذا مسته نار.

---

١ - ابن عاشور،التحرير والتنوير ج١٨ ص٢٣٩
٢ - الآلوسي،روح المعاني ج١٨ ص١٦٧
٣ - المصدر السابق ج١٨ ص١٦٧
٤ - أنظر:الطبري،جامع البيان ج١٩ ص١٨٦_١٨٧ القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ٢٥٨_٢٥٩ ،الرازي،التفسير الكبير ج٢٣ ص٢٠٦_٢٠٧

ولو : وصليه، والتقدير يكاد يضئ في كل حال حتى في حال لم تمسسه فيها نار.[١]

ثم قال تعالى مبينا أن صورة هذا التمثيل قد اكتمل في أعلى درجات الكمال والوضوح، حتى كان في أعلى درجات الإضاءة:{نور على نور}:" أي اجتمع في المشكاة ضوء المصباح، إلى ضوء الزجاجة، وإلى ضوء الزيت فصار لذلك نور على نور، واعتقلت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما يكون، فكذلك براهين الله تعالى واضحة وهي برهان بعد برهان، وتنبيه بعد تنبيه؛ كإرساله الرسل وإنزاله الكتب، ومواعظ تتكرر فيها لمن له عقل معتبر "[٢]

فالله سبحانه وتعالى يضرب هذا المثال لنوره ليقربه من العقول ،يضربه سبحانه وتعالى بهذا المصباح ليبين وضوح نوره ووجوده في هذا الكون، ويبين الرازي أسباب ذكر هذا التمثيل بهذه التفصيل وكيف أن كل جزء منه يكمل الأخر ويزيد في الإيقاد فيقول : "واعلم أن الأمور التي اعتبرها الله تعالى في هذا المثال مما توجب كمال الضوء.فأولها:المصباح لأنه إذا لم يكن في المشكاة تفرقت أشعته، أما إذا وضع في المشكاة اجتمعت أشعته فكانت أكثر إنارة، والذي يحقق ذلك أن المصباح إذا كان في بيت صغير فإنه يظهر من ضوئه أكثر مما يظهر في البيت الكبير.وثانيها:أن المصباح إذا كان في زجاجة صافية فإن الأشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة إلى بعض لما في الزجاجة من الصفاء والشفافية وبسبب ذلك يزداد الضوء والنور...ثالثها:أن ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به، فإذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كانت حالته بخلاف حالته إذا كان كدرا، وليس في الأدهان التي توقد ما يظهر فيه من الصفاء مثل الذي يظهر في الزيت،... رابعها :أن هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته، فإذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى أنها كانت بارزة للشمس بكل حالاتها يكون زيتونها أشد نضجا، فكان زيته أكثر صفاء وأقرب إلى أن يتميز صفوه من كدره لأن زيادة الشمس تؤثر في ذلك، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح أن يجعل مثالا لهداية الله تعالى".[٣]

من ذلك يتبين لنا وضوح هذا التمثيل، وتكامله مع بعضه البعض، فكل جزء منه قد تمم الآخر ، فأصبحت إنارة هذا المصباح كاملة قوية ، كذلك نور الله سبحانه وتعالى ظاهر واضح جلي للعيان والقلوب، وأنَّ دلالات نوره منكشفة للجميع غير مستترة، فالسعيد هو من شرح الله صدره للإيمان ففكر بعقله ونظر بقلبه فوفق إلى هذا النور الإلهي، وهدي إلى الصراط المستقيم، فآمن بالله سبحانه وتعالى الواحد الأحد، ورجع إليه وأناب ، قال تعالى:{يهدي الله لنوره من يشاء} :أي يهدي سبحانه وتعالى

---

١ - المصدر السابق ج١٨ ص٢٤٢
٢ - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٢ص٢٥٩
٣ - الرازي،التفسير الكبير ج٢٣ ص٢٠٢

هداية خاصة موصلة إلى المطلوب من يشاء هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم وجوه دلالة الأدلة العقلية والسمعية التي نور بها السماوات والأرض على وجه ينتفعون به.[١]

فأسباب الهداية هي من الله تعالى وحده، يقول سبحانه مخاطبا نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ومنبهاً إياه بأن عليه واجب الدعوة، والهداية والتوفيق منه سبحانه وتعالى: {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ}[البقرة:٢٧٢]، فالأسباب دون مشيئة الله تعالى لاغيه إذ بها تمامه.[٢]

"ويضرب الله الأمثال للناس":أي يبين الأشياء بأشباهها ونظائرها تقريبا لها إلى الإفهام وتسهيلا لإدراكها، لأن إبراز المعقول في هيئة المحسوس وتصويره بصورته يزيده وضوحا وبيانا.[٣]

يضرب الله تعالى الأمثال حسبَما يقتضِي حالُ المخاطب؛ فإنَّ له دخلاً عظيماً في باب الإرشاد؛ لأنَّه إبرازٌ للمعقول في هيئة المحسوس؛ وتصويرٌ لأوابدِ المعاني بصورة المأنُوسِ ولذلك مُثّل نورُه المعبَّر به عن القُرآن المُبين بنور المشكاة.[٤]

كما إن الحكمة في ضربه للأمثال أن يتفكر الناس فيها فيفهموا الشيء بنظيره، كما أن المثل المضروب يجعله الله سبب هداية لقوم فهموه، وسبب ضلال لقوم لم يفهموا حكمته.[٥]

"والله بكل شيء عليم":أي لا يغيب عنه شيء من الأشياء معقولا كان أو محسوسا ظاهرا أم باطنا.[٦]

- أقوال العلماء وتأويلاتُهم في هذا التمثيل:

تعددت أقوال العلماء في بيان رجوع الضمير في قوله تعالى :"مثل نوره " إلى عدة أقوال ،فذكر بعضهم أن الضمير عائد على الله سبحانه وتعالى، وذهب آخرون إلى غير ذلك.

وهذا ما بينه ابن عطيه بقوله : "وهذه الأقوال فيها عود الضمير إلى ما لم يجر له ذكر وفيها مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل به" [٧]

١ - الآلوسي، روح المعاني ج١٨ ص١٧٣
٢ - البيضاوي ،أنوار التنزيل ص٤٦٩
٣ - الشوكاني،فتح القدير ج٤ ص٤٩
٤ - انظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم ج٥ ص٥٢
٥ - الشنقيطي،أضواء البيان ج١ ص٣٢٤
٦ - الشوكاني،فتح القدير ج٤ ص٤٩
٧ - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ٢٦٠

وإليك هذه الأقوال والتأويلات:

أولا :إن الضمير يرجع إلى الله تعالى، فهو سبب ظهور كل موجود، وإتقانِه صنعة كلِ مخلوق، وبراهينه الساطعة على الجملة، وأنه سبب وجود أسباب الهداية من ذلك القرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم، والدلائل التي تدل عليه سبحانه وتعالى، فشبهها بالوضوح وبدلالتها عليه سبحانه وتعالى بالمشكاة التي فيها هذا المصباح المنير الذي اكتملت فيه أسباب الإيقاد، من وجود الزجاج الصافي الشفاف ومن وجود الزيت النقي .فهذه الأسباب كلها تدل وترشد وتهدي إلى هذا الرب المعبود سبحانه وتعالى.[١]

يقول الأمام الرازي :" إن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات، وصارت في ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية، وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء".[٢]

ثانيا :عود الضمير إلى ما لم يجر له ذكر:

ذكر العلماء رحمهم الله في ذلك اثنين: نور الرسول صلى الله عليه وسلم،ونور المؤمن .

فالأول: أنه عني بالنور: الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى : { قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ }[المائدة:١٥]، على من فسر النور في هذه الآية بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب الأحبار.[٣]

وقد توسع المفسرون في هذا التشبيه إلى أقوال عدة نذكرها فيما يلي:

- إن الرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة أو صدره، والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من عمله وهداه، والزجاجة قلبه، والشجرة المباركة هي الوحي، والملائكة رسل الله إليه وسببه المتصل به، والزيت هو الحجج والبراهين والآيات التي تضمنها الوحي.[٤]

١- انظر القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٢٥٧
٢ - الرازي،التفسير الكبير ج٢٣ ص٢٠٢
٣ - انظر القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٢٦٠
٤ - انظر المصدر السابق ج١٢ص٢٦٠

• إن المشكاة جسده عليه الصلاة والسلام والمصباحَ قلبُه والزجاجة صدره ثم شبه صدره بالكوكب الدري يكاد يبين للناس وإن لم يتكلم أنه نبي .[١]

الثاني :إنه عني بالنور :الإيمان في قلب المؤمن ،وهذا التشبيه جاء من قراءة أُبي بن كعب لها "مثل نور من آمن "ومعنى الكلام "مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقران مثل مشكاة "[٢]

يقول الرازي :" إن المراد منه ما في قلب المؤمنين من معرفة الله تعالى ومعرفة الشرائع، ويدل عليه أن الله تعالى وصف الإيمان بأنه نور والكفر بأنه ظلمة فقال: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ }[الزمر:٢٢] وقال تعالى: {لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[الطلاق:١١] ، وحاصله أنه حمل الهدى على الاهتداء، والمقصود من التمثيل أن إيمان المؤمن قد بلغ في الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ السراج".[٣]

ويقول كشك_رحمه الله_: " والنور يضاف إليه سبحانه وتعالى على أحد وجهين إضافة صفه إلى موصوفها وإضافة مفعول إلى فاعله.....وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله فيضاف إلى الفاعل والقابل ولهذا النور فاعل وقابل ومحل وحامل ومادة وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل فالفاعل هو الله تعالى مفيض الأنوار الهادي لنوره من يشاء والمقابل العبد المؤمن والمحل قلبه والحامل :همته وعزيمته وإرادته، والمادة قوله وعمله"[٤]

وبعد ذكر هذه التأويلات والتفسيرات لمعنى النور أرجح القول الأول وهو تشبيه لنوره سبحانه وتعالى الظاهر في كل موجود ،والهادي ببراهين وجوده وأدلته وآياته عباده إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، والأقوال الأخرى مندرجة تحت هذا القول لأنها كلها من نوره سبحانه وتعالى.

[١] - انظر الطبري،جامع البيان ج١٩ ص ١٨٠
[٢] - الطبري،جامع البيان ج١٩ ص١٧٨
[٣] - الرازي،التفسير الكبير ج٢٣ ص ٢٠٣
[٤] - كشك ،عبد الحميد كشك، **في رحاب التفسير**، المكتب المصري الحديث ج٤ ص٣٠٨٥ - ٣٠٨٧

المطلب الثاني: النور الإلهي في الكون

ذُكر النور في الخلق والإيجاد في عدة آيات وأنه عَرَضٌ في الجواهر ، من ذلك:

قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ }[الأنعام:١]

وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[يونس:٥]

وقوله تعالى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً }[نوح:١٦]

فقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ }[الأنعام:١]

فالله سبحانه وتعالى بدأ الآية بحمد نفسه لخلقه السماوات والأرض، ولجعله الظلمات والنور فيها، وكلها بحكمة بالغة؛ وذلك ليرشد الإنسان ويربيه على شكر الله تعالى المنعم المتفضل بهذه النعم، فيبقى على بينة ونور وهداية بمولاه الخالق القادر.

والحمد : هو فعل ينْبئ عن تعظيم المنعم سبب كونه منعما[١] ، أو هو الثناء الحسن والذكر الجميل[٢].

وقد ذكر العلماء في حمد الله تعالى لنفسه عدة مقاصد: [٣]

الأول: بقصد الإعلام للعباد للثناء عليه.

الثاني : بقصد الإيمان للإيمان به .

[١] - الجمل،سليمان بن عمر العجيلي،**الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ج٢ ص٣

[٢] - التفسير الواضح ج١ ص٣٢

[٣] - انظر الجمل ، الفتوحات الإلهية ج٢ ص٣

والثالث : بقصد إيجاد وصفه، وصدوره منه سبحانه وتعالى ؛ إذ الثواب هو على ذلك لا لمجرد الإخبار.

وذكر الطبري أن الخبر هنا بمعنى الأمر فقال:"الحمد الكامل لله وحده لا شريك له، دون جميع الأنداد والآلهة، ودن ما سواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام، وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ينحى به نحو الأمر:يقول:اخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم أيها الناس وخلق السماوات والأرض ولا تشركوا معه في ذلك أحداً شيئا، فانه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم، ونعمه عليكم لا من تعبدونه من دونه وتجعلونه له شريكاً من خلقه"[١]

وقد يتساءل الإنسان في إعادة ذكر الحمد مرة أخرى بعدما ذكره في سورة الفاتحة؟

والجواب على ذلك: "لان لكل واحدة منه معنى في موضعه لا يؤدي عنه غيره من اجل عقده بالنعم المختلفة "وأيضا فلما فيه من الحُجة في هذا الموضع على الذين بربهم يعدلون[٢]

وقد حمد الله سبحانه وتعالى نفسه بصفتين:خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور.

والصحيح أنه لا يوجد في القرآن الكريم كلمة ترادف الأخرى في المعنى وإن كان هناك ثم اتفاق إلا أنه لا بد أن يكون هناك اختلافا زائدا في المعنى أو ناقصاً عنه.

وهذا ما بينه المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية حيث فرقوا بين الخلق والجعل ليدل ذلك على أن النور يكون عرض في الأشياء وليس جوهراً، فلا يستخدم القرآن الكريم النور في الأشياء إلا مع فعل الجعل بمعنى صير.

وقد ذكر المفسرون في الخلق والجعل أموراً :

١- الجعل والإنشاء والإبداع كالخلق غير أن الخلق مختص بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية، والجعل عام في الإنشاء كما في قوله تعالى: {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} ،وللتشريع والتقنيين[٣] كقوله تعالى: {جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ }[المائدة:٩٧] [٤].

[١] - الطبري،جامع البيان ج١١ ص٢٤٩
[٢] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٨٤
[٣] - قنن: أي وضع القوانين. المعجم الوسيط، ج٢ ص ٧٦٣
[٤] - حجازي ،التفسير الواضح ج١ ص٣٢

٢_إن فعل الجعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وانشآ، كقوله تعالى:{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} والى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً }[الزخرف:١٩] والفرق بين الخلق والجعل أن الخلق فيه بمعنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان.[١]

٣_إن الخلق خاص بالجواهر والجعل خاص بالأعراض.

قال القرطبي:"ذكر بعد خلق الجواهر خلق الأعراض لكون الجوهر لا يستغني عنه، وما لا يستغني عن الحوادث فهو حادث"[٢]

وعرف الجوهر والعرض فقال:"الجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ الحامل للعرض، ثم قال وسمى العرض عرضا لأنه يعرض في الجسم والجوهر فيتغير به من حال إلى حال" [٣]

من هذه الأقوال يتبين أن فعل "الخلق" يختص بإيجاد الذات أو الجوهر أو الجسم وفعل "الجعل"يخصص هذه المخلوقات، ويصيرها ،أي أن هذا النور لا يكون موجودا أو قائماً بالشيء بل القدرة الإلهية تصيره منيراً كالشمس والقمر والنجوم.

قوله تعالى:{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}:أنهما سواد الليل وضياء النهار وهو قول جمهور المفسرين وقيل : الكفر والإيمان ،قال ابن عطيه: وهذا خروج عن الظاهر.[٤]

وجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور سبحانه وتعالى لكونه أشرف كقوله تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ}[النحل:٤٨]، وكما قال في آخر هذه السورة {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ }[الأنعام:١٥٣].[٥]

كذلك يصل الإنسان إلى النور الإلهي الذي يكون معه يوم القيامة بإتباع شرع الله تعالى والالتزام به ؛ بامتثال ما أمر واجتناب ما نهى عنه سبحانه وتعالى، هذا النور الذي ينعكس على سلوك الإنسان في حياته، وعلى مجتمعه، وعلى عقيدته.

---

[١] - الزمخشري،الكشاف ج٢، ص٥
[٢] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٨٦
[٣] - المصدر السابق ج٦ ص٣٨٦
[٤] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٨٦
[٥] - ابن كثير،تفسير القرآن العظيم ج٢، ص١٣٨

من ذلك نلحظ استخدام الله تعالى لفعل الجعل مع النور في بيان حال من بعد عن الله تعالى وأنه لا نور له في قوله :{ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ }[النور:٤٠]

وهذا ما ختم الله سبحانه وتعالى به هذه الآية الشريفة، فبعد بيانه لقدرته وخلقه في السماوات والأرض بين أن هناك من يبتعدون عن الحق وعن هذا النور ويتغافلون عنه ويعدلون عن عبادته بعبادة غيره من المخلوقات والمصنوعات بقوله : { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ }:أي هؤلاء الذين كفروا بالله سبحانه وتعالى وعدلوا عن عبادته إلى عبادة الاوثان وجعلوا معه آلهة أخرى في عبادته ،فيعبدون معه الآلهة والأصنام والأوثان وليس منها شيء شركة في خلق شيء من ذلك ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم ،بل هو المتفرد بذلك كله وهم يشركون في عبادتهم اياه غيره.[1]

وبعد أن ذكر سبحانه وتعالى في الآية السابقة الظلمات والنور بين المقصود من الظلمات والنور بأنهما ضوء النهار وظلام الليل في قوله تعالى:

١- {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[يونس:٥]

٢- {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً }[نوح:١٦]

٣- {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً }[الفرقان:٦١]

ففي الآية الأولى:يخبرنا الله تعالى عن صفتين من صفات الشمس والقمر وهما الضياء والنور، فان الضياء يكون للشمس ،والنور يكون للقمر، وقد فرق العلماء بين الشمس والقمر بعدة فروق، بناء على هذين الوصفين منها:

١- إن الشمس ذاتية الإضاءة والقمر نوره مستمد من غيره.

٢- إنه يعرف بالقمر السنوات القمرية والأشهر القمرية، ويعرف بالشمس الأيام والسنوات الميلادية.

٣- إن الله سبحانه وتعالى قدر لهما منازل لا تتغير إطلاقا.

---

[1] - الطبري،جامع البيان ج١١ ص٢٥١ -٢٥٢

٤- إن الله سبحانه وتعالى فرق بهما بين النهار والليل.

هو الذي جعل الشمس ضياءا والقمر نورا:أي هو الذي أضاء الشمس وأنار القمر

هو الذي جعل الشمس ضياءا:أي ذات ضياء والقمر نورا أي ذا نور، والضياء جمع ضوء.[١]

واختُلِفَ في أن الشعاع الفائض من الشمس هل هو جسم أو عرض ؟ والحق انه عرض وله كيفية مخصوصة، والنور اسم لأصل هذه الكيفية، والضوء اسم لهذه الكيفية إذا كانت تامة قوية، فلهذا خص الشمس بالضياء لأنه أقوى وأكمل من النور، وخص القمر بالنور لأنه اضعف من الضياء ولأنهما إذا تساويا لم يعرف الليل من النهار، فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر.[٢]

"الذي جعل الشمس ضياءا":فيها اشتعال "والقمر نورا":فيه إنارة.[٣]

فيبين الله سبحانه وتعالى:انه هو الذي أضاء الشمس وأنار القمر بقدرته وعلمه، فأعطى للشمس الضياء وللقمر النور، وهذا ليبين أن هناك فرقا بين ضوء الشمس ونور القمر ،وقد مر معنا سابقا توضيح الفرق بين الضوء والنور[٤].

واختلف العلماء في رجوع الضمير في قوله تعالى:"وقدره منازل" فبعضهم قال:انه للقمر خاصة، وبعضهم قال: انه للشمس والقمر على تقدير"وقدر لهما منازل أي قدر لسيرهما منازل لا يجاوزنهما في السير ولا يقصران عنها، فوحد إيجازا واختصارا، ومثاله قوله تعالى:"والله ورسوله احق ان يرضوه".[٥]

والذي أميل إليه هو القول الثاني وذلك لان الله سبحانه وتعالى بين سبب تقدير هذه المنازل بقوله"لتعلموا عدد السنين والحساب" فبالشمس تعرف الأيام والسنين الشمسية وبالقمر تعرف الأشهر والسنين القمرية.

---

[١] - المصدر السابق ج٨ ص٣٠٩- ٣١٠

[٢] - الجمل، الفتوحات الإلهية ص٣٣٤، ج٢

[٣] - سيد قطب ،في ظلال القرآن ج٤ ص١٠٨-١٠٩

[٤] - انظر المطلب الثالث من التمهيد : الألفاظ القرآنية القريبة من معاني النُور والفرق بينها

[٥] - انظر المصدر السابق ج٥ ص٢٤٢٧

قال الطبري رحمه الله:"قدر ذلك منازل لتعلموا انتم أيها الناس عدد السنين ،دخول ما يدخل منها ،وانقضاء ما يستقبل منها ،وحسابها، وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها".[١]

"ما خلق الله ذلك إلا بالحق"أي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكى سبحانه من الأحوال "إلا بالحق"[٢]

قال الالوسي:"أي مراعيا فيه الحكمة والمصلحة أو مراعٍ فيه ذلك ،فالمراد بالحق هنا خلاف الباطل والعبث".[٣]

فالله سبحانه وتعالى يبين هذه الآيات الكونية إضافة للآيات التنزيلية لإقامة الحجة والدليل على الناس، فيستضيء قلب من تفكر في هذه الدقة من النظام الذي يدل على الخالق سبحانه وتعالى، فيذعن وينساق إلى هذا الرب العظيم .

ويبين الله سبحانه وتعالى أن الشمس سراجا والقمر نورا في قوله : {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً }[الفرقان:٦١]

في هذه الآية الكريمة يمجد الله سبحانه وتعالى نفسه فيثني على جميل ما خلق في السماوات من البروج وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا، فيقول : {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً }[الفرقان:٦١]

فبعد أن بين الله سبحانه وتعالى أن في السماء بروجاً ، بين سبحانه أنه خص في السماء من هذه الكواكب اثنين، احدهما جعله سراجاً والآخر جعله منيراً ؛ فبدأ بذكر السراج وهي الشمس بدلالة قوله تعالى: { وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً }[نوح:١٦] وهي التي تعطي ضوء النهار فهو كالسراج في الوجود، والقمر هو الذي ينير الأرض بنوره قال تعالى : {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً }[نوح:١٦]

وفي وصفه بمنيراً دون مضيئا إشارة إلى أن ما يشاهد فيه من النور مستفاد من غيره وهي الشمس.[٤]

وقد علل الآلوسي رحمه الله تعالى وصف الله تعالى الشمس سراجا والقمر نورا بقوله :"ولعل في تشبيهها بالسراج القائم ضياءه لا بطريق الانعكاس، رمزا إلى أن ضياءها ليس منعكساً إليها من

[١] - الطبري،جامع البيان ج١٥ ص٢٤
[٢] - الآلوسي،روح المعاني ج١١ ص٧١
[٣] - المصدر السابق ج١١ ص٧١
[٤] - انظر الآلوسي،روح المعاني ج ١٩ ص ٤١-٤٢

كوكب أخر، كما أن نور القمر منعكس عليه من الشمس لاختلاف تشكلاته بالقرب والبعد منها مع خسوفه بحيلولة الأرض بينه وبينها ".[١]

من ذلك يتبين أن الله سبحانه وتعالى قدر كل شيء وفق حكمة بالغة من ذلك ضياء الشمس ونور القمر وهما من النور المحسوس إذ قال : {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }[يس:٣٨] ، فما من شيء في السماوات ولا في الأرض إلا وفق نظام ونور متكامل، فهو سبحانه نور السموات والأرض.

[١] - الآلوسي،روح المعاني ج ٢٩ ص ٧٥

المطلب الثالث :النور الإلهي يوم القيامة

{وَأَشْرَقَتِ الْأرض بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[الزمر:٦٩]

اختلف العلماء في معنى النور في هذه الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول:إن النور هنا بمعنى العدل والقضاء بالحق والحكم بين الناس ،وهذا الذي ذهب إليه أكثر المفسرين ؛ لوجود القرائن الدالة على معنى العدل والقضاء بالحق ، من هذه القرائن :إضافة النور إلى اسمه تعالى لأنه عز وجل هو الحق العدل، والعدل هو الذي يتزين به الأرض، كذلك بما عطف على إشراق الأرض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق لأنه كله تفصيل العدل بالحقيقة، وأيدها العرف العام فإن الناس يقولون للملك العادل: أشرقت الأفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك.[1]

أي أشرقت الأرض بما يقيمه سبحانه وتعالى فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات.[2]

وقيل:إنه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لأنه نهار لا ليل معه.[3]

أي أنارت وأضاءت بعدل قضائه بالحق بين عباده.[4]

القول الثاني: إن أرض المحشر تختلف عن الأرض التي نحن فيها لقوله تعالى:{ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأرض غَيْرَ الْأرض وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[إبراهيم:٤٨] وقوله أيضا:{ وَحُمِلَتِ الْأرض وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}[الحاقة:١٤] ،بل هي أرض يخلقها الله تعالى لمحفل يوم القيامة.[5]

---

[1] - أنظر: الآلوسي،روح المعاني ج٢٤ ص٣٠

[2] -انظر ابن كثير،تفسير القرآن العظيم ج٤، ص٨٣ ،الآلوسي،روح المعاني ج٢٤ ص٣٠

[3] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٥، ص٢٨٢

[4] - المصدر السابق ج١٥، ص ٢٨٢

[5] - انظر الرازي،التفسير الكبير ج٢٧ ص ١٧

وهذا يحمل على ظاهر الآية.

وأما إضافة أنارت الأرض "بنور ربها": فهي إضافة تشريف كما في قوله تعالى: { هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً }[هود:٦٤] وهذا بيت الله.[١]

وقالوا:إن هذا النور يخلقه الله يوم القيامة يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به دون واسطة أجسام مضيئة.

قال ابن عباس:النور المذكور ها هنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه الله فيضئ به الأرض.[٢]

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي "[٣] وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور_رحمه الله- فقال :"أي بنور خاص خلقه الله فيها لا بسطوع مصباح ولا بنور كوكب شمس أو غيرهما "[٤] وعلل ذلك بأن هذه الأرض لا يقام عليها إلا الحق فقال:" وإذا قد كان النور نورا ذاتيا لتلك الأرض كان إشارة إلى خلوصها من ظلمات الأعمال ودل على أن ما يجري على تلك الأرض من الأعمال والأحداث حق وكمال في بابه لان عالم الأنوار لا يشوبه شيء من ظلمات الأعمال والأحداث .... وهذا يغني عن جعل النور مستعاراً للعدل فإن ذلك المعنى حاصل بدلالة الالتزام كناية، ولو حمل النور على معنى العدل لكان اقل شمولا لأحوال الحق والكمال وهو يغني عنه قوله: {وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }".[٥]

من كلام ابن عاشور تبين أن النور هو الذي يجعله الله في أرض المحشر وهو عرض على الأرض وان هذه الأرض هي التي يكون الحق والعدل عليها.

القول الثالث:إن هذا النور يكون عند تجليه سبحانه وتعالى لفصل القضاء بين الناس ومن قال بهذا أخذه من حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم" إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن

---

[١] - انظر المصدر السابق ج٢٧ ص ١٨

[٢] - انظر القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٢٨٢، وانظر حجازي ،التفسير الواضح ج٢١ ص١٦،

[٣] - رواه البخاري ، باب يقبص الله الأرض يوم القيامة ،ج ٥ ص ٢٣٩٠ رقم الحديث ٦١٥٦ .النقي : الخبز الجيد المرقق المتخذ من أجود القمح

[٤] - ابن عاشور ، التحرير والتنوير ج٢٤ ص٢٤

[٥] - المصدر السابق ج٢٤ ص٢٤

ينام،يخفض القسط ويرفعه ،يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ،وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور "[١]

قال الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى:"وأما تجلى الرب سبحانه فسواء حمل على تجلي الجلال أو بتجلي الجمال لا يقتضي إشراق الأرض بنور إلا بأحد المعنيين أعنى العدل أو عرضا يخلقه الله تعالى عند التجلي في الأرض".[٢]

ورد القرطبي على من توهموا أن الله عز وجل من جنس النور و الضياء المحسوس بأنه سبحانه وتعالى متعال عن مشابهة المحسوسات ،بل هو منور السموات والأرض ،فمنه كل نور خلقا وإنشاءً .[٣]

هذه الأقوال الثلاثة التي قالها العلماء في معنى النور يوم القيامة والذي أميل إليه بأن هذا النور يقصد به النور المحسوس وهو النور الذي يخلقه الله تعالى لأرض المحشر التي سيقام عليها القضاء بين الناس .أو أن المقصود استعارة هذا النور لمعنى العدل بين الناس وإظهار الظالم من المظلوم حتى لا تُظلم نفس شيئا، من الدلائل المتممة للآية من قوله تعالى: { وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }[الزمر:٦٩]، فهي تبين الحق والنور يوم القيامة، فهذا المعنى يظهر النور على صورة العدل والقسط.[٤] {فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً}[الأنبياء:٤٧] .

وعلى ذلك ختم سبحانه وتعالى الآية بقوله : {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ } [الزمر:٧٠] وهذا كله يعطيك معنى النور ويظهره بشكل ملموس مشهود يوم القيامة.

[١] - رواه مسلم في صحيحه، باب في قوله عليه السلام « إن الله لا ينام » ج ١ ص١٦٢ حديث رقم: ١٧٩

[٢] - الآلوسي،روح المعاني ج٢٤ ص٣٠

[٣] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٢٨٢

[٤] - انظر القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٢٨٣،وانظر حجازي ،التفسير الواضح ج٢١ص١٦،والآلوسي،روح المعاني ج٢٤ ص٣١

المبحث الثاني: نور القران الكريم

القران الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لإرشاد الناس وهدايتهم عقيدةً وشريعةً، آداباً وسلوكاً، وفق المنهج الذي يرتضيه سبحانه وتعالى لهم ؛ حتى يسمو كل واحد منهم بنفسه وروحه إلى ما فيه السعادة، فهو نور من الله عز وجل يستضيء به الإنسان في حياته .

لذلك يجد المتتبع لآيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يثني على الذين يتعلمون القرآن الكريم ويطبقون ما فيه من الأحكام في حياتهم، فهو سبب سعادتهم في الحياة الدنيا والآخرة ،والنور الذي يسرون به، وذلك بإرشادهم وهدايتهم وتنظيم أمورهم في العلاقات الثلاث: علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى ،وعلاقة الإنسان بنفسه ،وعلاقة الإنسان بمجتمعه.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}[النساء:١٧٤-١٧٥]

افتتح الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بخطاب عام وشامل جامع لجميع البشرية على اختلاف دينها وأجناسها وعادتها وتقاليدها، فيقول سبحانه وتعالى : "يا أيها الناس"وهذا الخطاب فيه بيان شمولية الدين الإسلامي وأن رسالته فيها النور لكل البشرية بلا استثناء، وهي دليل واضح وحجة بينة على من ينكرون الرسالات السماوية من الله أو ينكرون بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم رغم ما جاء به من إثبات دعوته من المعجزات، وعلى رأسها القران الكريم المعجزة والمنهج ،والدليل على صدق دعوته عليه الصلاة والسلام.

يقول سبحانه وتعالى: {يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا}

(قد) في اللغة العربية تفيد التحقيق[١] ،أي أن الفعل بعدها متحقق حاصل بكامله بدون تنجيم أو تعطيل أو تأخير.

---

[١] - ابن هشام،عبد الله بن يوسف الأنصاري ،**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، تحقيق : د.مازن المبارك وآخرون ،دار الفكر ، بيروت،ط٦ ، ١٩٨٥م ، ص ٢٣١

والبرهان هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما معه من دلائل النبوة والمعجزات [١]، ومن هذه المعجزات القرآن الكريم { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً} فهو نور واضح بين ينير للناس أسس الحياة وقوانينها، وهو الحجة على الناس أجمع[٢]،كما سماه سبحانه وتعالى نوراً لأنه النور المعنوي ينير للإنسان طريقه فلا يتعثر بأي شيء يؤذيه ،ولأنه ينير للإنسان طريق الصراط المستقيم فيبعد بهذا النور عن المعاصي والسيئات وعن كل أمر يغضب الله سبحانه وتعالى،فهو نور ينير للإنسان الحق ويبعده عن الباطل، فهو نير بنفسه لأنه من عند الله تعالى منير لغيره بإرشاد الناس وهدايتهم، فهو كالنور الحسي.

يقول الآلوسي رحمه الله: "وإطلاق النور المبين لأنه بين بنفسه ،مستغن في ثبوت حقيته ،وكونه من الله تعالى بإعجازه غير محتاج إلى غيره مبينٌ لغيره من حقيته الحقَ وبطلانه الباطل، مهدي للخلق بإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان".[٣]

ويقول الشنقيطي :"المراد بهذا النور المبين القران العظيم لأنه يزيل ظلمات الجهل والشك كما يزيل النور الحسي ظلمة الليل"[٤]. وقال الرازي رحمه الله:"والنور المبين القران وسماه نورا لأنه سبب لوقوع نور الإيمان في القلب"[٥]

ويتبين ذلك في قصة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جاء ليقتل شقيقته التي أسلمت فسمع آيات القرآن الكريم فإذا هو يسال عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه [٦]، فقد قذف الله نور القرآن في قلبه فخشعت جوارحه ورق قلبه . وكذلك الوليد بن المغيرة عندما سمع هذا الكلام أقسم بالله إنه ليس بكلام بشر وإنه يعلو ولا يعلى عليه وإن له لحلاوة ،وإن عليه لطلاوة ،ولكن قادة الشياطين ردوه عن الهداية وأرجعوه عن هذا النور وحجبوه عنه.[٧]

---

[١] - ابن عاشور، التحرير والتنوير ج٦،ص٦٢

[٢] - انظر السيوطي،عبد الرحمن جلال الدين،**الدر المنثور في التفسير المأثور** ،الطبعة الخامسة، دار الفكر ج٢ ص٧٥٣

[٣] - الآلوسي،روح المعاني ج٦ ص٤٣

[٤] - الشنقيطي،أضواء البيان ج١ ص٣٢٤

[٥] - الرازي،التفسير الكبير ،ج١١ ص ٩٥

[٦] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج١١ ص١٣٦

[٧] - ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد**، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ٢٠٠٢ م ،ج٨ ص ١٧٥

وقد بين الله سبحانه وتعالى أجر وثواب من يؤمن بالله تعالى ويتمسك بهذا النور فقال: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} [النساء:١٧٥]

فقد بين سبحانه وتعالى عاقبة أولئك الذين امنوا به سبحانه وتعالى و برسوله و بهذا النور القران الكريم واعتصموا به بأنه سيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما.فقوله "واعتصموا به" أي بالقرآن كما في قوله تعالى :"واعتصموا بحبل الله جميعا"أي بحبل الله وهو القرآن الكريم وعلى هذا فإن قوله تعالى:"اعتصموا به " فيه دلالة واضحة على تلك الفوائد التي ستعود على الناس من التزام ذا النور الإلهي وهو القرآن الكريم.

قال ابن عاشور:" {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ } يجوز أن يكون للتفصيل: تفصيلا لما دل عليه"يا أيها الناس"من اختلاف الفرق والنزعات بين قابل للبرهان والنور،ومكابر جاحد ويكون معادل هذه الشق محذوفا للتهويل، أي: وأما الذين كفروا فلا تسل عنهم"[١]

والاعتصام:اللوذ، والاعتصام بالله استعارة من اللوذ بدينه والإدخال في الرحمة والفضل عبارة عن الرضا، وقوله: { وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً } أي:يهديهم ليصلوا إليه أي إلى الله وذلك هو متمناهم إذ قد علموا أن وعدهم عنده.[٢]

و ذكر الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم أن فيه الحياة والنور والروح لهداية الإنسان في قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[الشورى:٥٢]

يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد أن أخبره بأنواع الوحي التي يكلم الله بها من يصطفيه من عباده فيقول : "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا"أي كما أوحينا إلى من قبلك من الأنبياء السابقين بأنواع الوحي السالفة الذكر أوحينا إليك.

والروح له عدة معان منها: النبوة والرحمة والقرآن والوحي [٣] ، وكلها في إطلاقها دالة على ما يكون من عند الله لرسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم فهي شاملة عامة ، وإلى ذلك أشار ابن عاشور بقوله : " وأطلق الروح هنا مجازاً على الشريعة التي بها اهتداء النفوس إلى ما يعود عليهم

[١] - ابن عاشور،التحرير والتنوير ج٦،ص٦٢-٦٣
[٢] - المصدر السابق ج٦ ص٦٢-٦٣
[٣] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص٥٤

بالخير في حياتهم الأولى وحياتهم الثانية ، شُبهت هداية عقولهم بعد الضلالة بحلول الروح في الجسد فيصير حَيّاً بعد أن كان جُثّة ...... والمراد بالروح من أمر الله : ما أوحي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الإرشاد والهداية ".[1] لأن فيه حياة القلب كما أن في الروح حياة الأبدان ،وجعل هذا الروح من أمره لمزيد من التفخيم والتعظيم ، وكان مالك بن دينار-رحمه الله- يقول: "يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض"[2].

{ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى:٥٢] أي لم تكن تدري شرائع الإيمان ومعالمه وتفاصيل هذا الشرع الذي فصل في القرآن الكريم[3] .

يقول ابن عاشور :" أي أوحينا إليك في حال انتفاء علمك بالكتاب والإيمان ، أي أفضنا عليك موهبة الوحي في حال خلوّك عن علم الكتاب وعِلم الإيمان ، وهذا تحدَ للمعاندين ليتأملوا في حال الرّسول صلى الله عليه وسلم فيعلموا أن ما أوتيه من الشريعة والآداب الخُلقية هو من مواهب الله تعالى التي لم تسبق له مزاولتها ، ويَتضمن امتناناً عليه وعلى أمته المسلمين ،ومعنى عدم دراية الكتاب : عدم تعلق علمه بقراءة كتاب أو فهمه ، ومعنى انتفاء دراية الإيمان : عدم تعلق علمه بما تحتوي عليه حقيقة الإيمان الشرعي من صفات الله وأصول الدين ..... فيزاد في معنى عدم دراية الإيمان انتفاء تعلق علم الرّسول صلى الله عليه وسلم بشرائع الإسلام ، فانتفاء درايته بالإيمان مثل انتفاء درايته بالكتاب ، أي انتفاء العلم بحقائقه ولذلك قال : { ما كنت تدري } ولم يقل : ما كنت مؤمناً ".[4]

كما يتبين من ذلك أن هذا الوحي وهذا النور ليس من البشر وإنما هو من عند الله تعالى بأن جعله نورا ليستضيء به الناس سبل السلام فيهتدوا إلى الإيمان بالله عز وجل { وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا } قال ابن عطية : الضمير للكتاب ، وقيل : للإيمان ورجح بالقرب ، وقيل : للكتاب والإيمان ووحد لأن مقصدهما واحد فهو نظير { والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ }[التوبة : ٦٢] .[5] وفي عود الضمير على الكتاب والإيمان بيان أن كل ما جاء به المصطفى من عند الله هو نور، وهو شامل للقرآن والسنة ، فالسنة هي موضحة وشارحة لكل ما أتى به القرآن ولا تنفك عنه وكما أن معرفة الإيمان هي من القرآن الكريم، فهو كتاب الله فيه النور للناس وهدايتهم.

---

[1] - ابن عاشور،التحرير والتنوير ج ٢٥ ص١٥٢
[2] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص٥٥
[3] - المصدر السابق ج ١٦ ص٥٥ ، ابن كثير،تفسير القرآن العظيم ج٧ ص ٢١٧
[4] - ابن عاشور،التحرير والتنوير ج ٢٥ ص١٥٢
[5] - الآلوسي،روح المعاني ج ٢٥ ص ٦٠

يقول الطبري: "ولكن جعلنا هذا القرآن، وهو الكتاب نورا، يعني ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه مما لهم فيه في العمل به الرشادُ، ومن النار النجاة" [١]

ويبين ابن عاشور أن هداية النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم وهداية من تبعه من امته به :" ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ثم هديناك بالكتاب ابتداء وعرفناك به الإيمان وهَدَيت به النّاس ثانياً فاهتدى به من شِئنا هدايته ، أي وبقي على الضلال من لم نشأ له الاهتداء" [٢]

ثم علل السبب في تشبيه القرآن بالنور لأنه سبب هداية ورشاد فقال :"وشبه الكتاب بالنّور لمناسبة الهَدي به ؛ لأن الإيمان والهُدى والعلم تشبَّه بالنور ، والضلال والجهل والكفر تشبه بالظلمة ، قال تعالى : { يخرجهم من الظلمات إلى النّور } [البقرة:٢٥٧] . وإذا كان السائر في الطريق في ظلمة ضل عن الطريق فإذا استنار له اهتدى إلى الطريق، فالنّور وسيلة الاهتداء ولكن إنما يَهتدي به من لا يكون له حائل دون الاهتداء وإلا لم تنفعه وسيلة الاهتداء ". [٣]

وقد بين سبحانه وتعالى حال المؤمنين الذين يتبعون هذا النور وهو القرآن الكريم بأنهم المفلحون في الدنيا وفي الآخرة ،وهم الناجون يوم تصير الأمور إلى الله عز وجل ليحاسب الناس فلا يحزنون لأنهم ساروا وعملوا في حياتهم مستنيرين بنور كتاب الله تعالى وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الشارحة لهذا الكتاب العظيم قال سبحانه: { فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[الأعراف:١٥٧]، أي آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم واتبعوه فيما أتى به من نور القرآن والوحي والرسالة أولئك هم المفلحون ،يقول الخازن: "{ واتبعوا النور الذي أنزل معه } يعني القرآن سمي القرآن نوراً ؛لأن به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة إلى ضياء اليقين والعلم { أولئك هم المفلحون } يعني هم الناجون الفائزون بالهداية"[٤]

ونلحظ في قوله تعالى:{والنور الذي أنزل معه} أن هذا النور انزل معه عليه السلام ،وهو بيان واضح على اصطفائه عليه السلام وعلى نبوته من عند الله سبحانه وتعالى. قال الرازي:"فإن قلت : ما معنى قوله { أُنزِلَ مَعَهُ } وإنما أنزل مع جبريل؟ قلت : معناه أنزل مع نبوّته ، لأنّ استنباءه كان

---

[١] - الطبري،جامع البيان ج ٢١ ص ٥٦٠
[٢] - ابن عاشور،التحرير والتنوير ج٢٥ ص١٥٤
[٣] - المصدر السابق ج٢٥ ص١٥٤
[٤] - الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار الفكر - بيروت / لبنان ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م، ج٢ ص ٢٩٩-٣٠٠

مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به . ويجوز أن يعلق باتبعوا . أي : واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهي عنه ، أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه ".[١]

وبداية نبوته ودعوته صلى الله عليه وسلم كان في غار حراء عندما نزل عليه الوحي في آيات من سورة العلق .

قوله سبحانه :

{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }[التغابن:٨]

هذا خطاب من الله سبحانه وتعالى إلى جميع البشرية بأن يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى إيمانا بعيدا عن الشرك لأنه الخالق الرازق المنعم المتفضل ولا سواه ، فالمتفكر في نفسه كيف خلقها الله تعالى وجعلها في أحسن صورة ،وكيف خلق الكون و أبدعه ونظمه ،وجعله مسخرا لهذا الإنسان ،وأنعم عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وأرسل إليهم رسولا من أنفسهم يزكيهم ويطهرهم ويدعوهم ويرشدهم إليه سبحانه وتعالى ،وأنزل معه القرآن الكريم دستورا ووصفه بالنور لأنه ينير طريق الجهل بالمعرفة ،والظلم بالحق، ويسترشد به الضال إلى الطريق المستقيم.

ويبين السعدي سبب تسمية القرآن الكريم بالنور بقوله :" وسماه الله نورًا، فإن النور ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من الأحكام والشرائع والأخبار أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشى بها في حندس الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع، إلا ما وافق ما جاءت به الرسل، والإيمان بالله ورسوله وكتابه، يقتضي الجزم التام، واليقين الصادق بها، والعمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، واجتناب النواهي" [٢]

وما دلت عليه هذه الآيات الكريمة من كون هذا القرآن نوراً يدل على أنه هو الدليل الذي به تكشف ظلمات الجهل ، ويظهر فيه نور الحق ، ويزهق الباطل ويُميز به بين الهدى والضلال والحسن والقبيح، فالمسلم يستنير بنوره ، فيعتقد بعقائده ، ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ويمتثل أوامره ويجتنب ما نهى عنه ويعتبر بقصصه وأمثاله .

[١] - الزمخشري،الكشاف ج٢ ص ١٥٧

[٢] - السعدي،عبد الرحمن بن ناصر،**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**،جمعية احياء التراث الإسلامي ، الكويت، ٢٠٠٤ م ص ١٢٢١

إن تعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الزمان أيسر منه بكثير في القرون الأولى ؛ لسهولة معرفة جميع ما يتعلق بذلك عن طريق تقدم التكنولوجيا والحاسوب، من ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص ، ومطلق ومقيد ، ومجمل ومبين، وأحوال الرجال من رواة الحديث ، والتمييز بين الصحيح والضعيف ، لأن جميعها ضبط وأتقن ودون ، فكل آية من كتاب الله قد علم ما جاء فيها من تفسير وتأويل من النبي صلى الله عليه وسلم ثم من الصحابة والتابعين وكبار المفسرين .

كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن الكتب السابقة فيها نور،فقد وردت آيات في كتاب الله فيها دلالات على النور في هذه الكتب السماوية ،وهذه الكتب منزلة من عند حكيم خبير لهداية الناس في حياتهم الدنيا بالشرائع والأحكام ،وتنويرهم بعقيدة الإيمان والنبوة والبعث ،والله سبحانه وتعالى عند ذكره للكتب السماوية السابقة بين لنا بعض ما فيها من العقائد والأحكام ليبين لنا وحدة الدين كما قال : {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ }[آل عمران:١٩]،ويبين لنا أن مصدرها واحد، وإن اختلفت الشرائع والأحكام، لكنها متفقة في أصل الدين والاستسلام لله الواحد الأحد لذلك قال الله تعالى عن سيدنا إبراهيم : { مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ}[الحج:٧٨] ،وملته عليه الصلاة والسلام هي التوحيد والحنفية السمحة .

والآيات التي وردت فيها النور مقترنة بالكتب السماوية هي :

١) {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }[المائدة:٤٤]

٢) {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }[المائدة:٤٦]

٣فهذه الآيات الكريمة فيها بيان أن التوراة والإنجيل فيها هدى ونور ،وفيها بيان أن كل نبي هو سبب في خروج قومه الذين يتبعوه من ظلمات الكفر والجهل والضياع إلى نور الإيمان والعلم والصراط المستقيم ؛لأن كل نبي هو نور من الله يستضاء به وبرسالته .

ففي الآية الأولى يبين الله سبحانه وتعالى أنه أنزل التوراة على بني إسرائيل هدى لهم ونورا يستضيئون فيها بحياتهم ويسيرون على نهجها ويرجعون إليها في تنفيذ الأحكام فيما بينهم ،وفق المنهج الذي صاغه الله فيها وأراده فقال تعالى: {إن أنزلنا التوراة فيها هدى ونور} ،لكن هؤلاء اليهود لم يطبقوا ما في التوراة من الأحكام وابتعدوا عنها فلم يحكموا بما فيها من النور والهداية ،ويبين الله

سبحانه وتعالى حال أهل الكتاب اليهود في عهد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وكيف أنهم غيروا وبدلوا الأحكام الشرعية التي في كتابهم رغم ما في هذه الأحكام من المصلحة العظيمة التي قدرها واختارها الله سبحانه وتعالى لعبيده وكيف أن أهل الكتاب أخفوا وبدلوا عددا من الأحكام الواردة في كتابهم فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعضها وأخفى عنهم بعضها سترا عليهم ولعدم فضيحتهم ،وهذه الآية التي نحن بصدد دراستها، يبين الله تعالى حال اليهود في زمن نزول الآية، وينبههم على الرجوع والخوف والخشية منه سبحانه وتعالى ومن عدم اتخاذ آيات الله هزوا ولعبا ،وعدم تبديل الأحكام من أجل عرض من أعراض الدنيا ،فيقول الله سبحانه وتعالى : {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}، فيبدأ الله تعالى هذه الآية ببيان أهمية التوراة في حياة الناس وأنه أنزلها من عنده ليبين مقامها وفضلها كما بين الله سبحانه وتعالى لليهود على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما في كتابهم من النور والهدى،يقول ابن عاشور:"ووصفها بالنزول ليدل على أنها وحي من الله ، فاستعير النزول لبلوغ الوحي لأنه بلوغ شيء من لدن عظيم".[١]

ويقول الطبري : " إنا أنزلنا التوراة فيها بيانُ ما سألك هؤلاء اليهود عنه من حكم الزانيين المحصنين ،ونور، يقول: فيها جلاء ما أظلم عليهم، وضياءُ ما التبس من الحكم "[٢] ، وقال الآلوسي :" { فِيهَا هُدًى } أي إرشاد للناس إلى الحق { وَنُورٌ } أي ضياء يكشف به ما تشابه عليهم وأظلم"[٣]، وأما الرازي فقد فرق بين النور والهدى بقوله :"فالهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والتكاليف ،والنور بيان للتوحيد والنبوة والمعاد "[٤]، ومن هذا النور في التوراة التبشير به صلى الله عليه وسلم ،وأنه حق ،وهذا فيه رد على اليهود وحجة عليهم ،في أنهم لم يتبعوا النبي عليه الصلاة والسلام رغم وجوده في كتبهم ، فنبه الله تعالى هؤلاء اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم على أن يرجعوا إلى ما كان عليه أنبياؤهم وعلماؤهم ورهبانهم من إتباع أحكام التوراة وعدم الحيدة عنها وتبديلها وتذكيرهم بأنهم أخذوا العهود على حفظ هذه الأحكام وتطبيقها على الناس وعدم تضيعها وحفظها من أيدي العابثين ،قال تعالى : {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء} ،والمراد بالنبيين هم جميع أنبياء بني إسرائيل من عهد سيدنا موسى عليه السلام إلى عهد سيدنا عيسى عليه السلام وقد وصفهم بأنهم {الذين أسلموا} أي صدقوا بالتوراة وانقادوا لأمر الله فيما بعثوا به ،وقيل: إن المراد بالنبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه حكم على اليهود الذين أتوه يسألوه عن حكم الزنا فحكم لهم بالرجم كما هو حكم التوراة

---

[١] - ابن عاشور،التحرير والتنوير ج٦ ص ٢٠٧
[٢] - الطبري،جامع البيان ج١٠ ص٣٣٨
[٣] - الآلوسي،روح المعاني ج٦ ص١٤٢
[٤] - الرازي،التفسير الكبير ج ١٢ ص ٣

،وإنما ذكر بلفظ الجمع {النبيون} تعظيما له ولأنه عليه السلام قد اجتمع فيه من خصال الخير ما كان لأكثر الأنبياء .[١] ثم عطف الله على الأنبياء بالعمل والقيام بتطبيق حكم الله على الناس الربانين والأحبار فقال : { وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء} والسبب في عطف الربانيين والأحبار على النبيين لأنهم ورثة علمهم وعليهم تلقوا الدين، فهم على نور من الله مقتبسين هذا النور من أنبياء الله تعالى، الذي يظهر بأقوالهم وأعمالهم فينعكس ذلك النور إلى ما يعلموا الناس حتى يخرجوهم من الزيغ والضلال ويرشدوهم إلى الحق وطريق الهداية ،فالنور الإلهي يتنزل بأشكال متعددة وبصفات مختلفة ويتجسد في الأحكام والمبادئ الإلهية، ويتنزل على أرض الواقع في كل زمان ومكان، وهو ما يسمى بالشريعة،والعلماء هم الذين يبينون للناس أحكام الله وتشريعاته، ومهما تعددت الشرائع والأحكام فمصدرها واحد وهو الله تعالى، والإيمان به واحد أحد فرد صمد هو الأساس في جميع الشرائع فكلها دين الإسلام {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ }[آل عمران:١٩]،ولأن أصل النور في هذه الحياة وجد من أجل توحيد الله تعالى. لأن النور من الله واحد لا يتعدد لكنه يتعدد بالأحكام والشرائع.

وكما أمر الله عز وجل بني إسرائيل أن يتبعوا نبيهم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بما جاء به، أمرهم باتباع سيدنا عيسى عليه السلام من بعده والامتثال بأمر الإنجيل وأحكامه لما فيه من الهدى والنور لهم، وأن عيسى عليه السلام هو مرسل من عند الله تعالى، كما أنه يبين شريعة سيدنا موسى عليه السلام فيحل لهم ما حرم عليهم في التوراة ،قال الله عز وجل:{وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }[المائدة:٤٦]

وهذا يدل على وحدة المرسِل سبحانه وتعالى القائل: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[البقرة:٢٨٥]، فرسالتهم واحدة ،وأصول دينهم واحد،ونورهم واحد وإن اختلفت شرائعهم ،{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران:١٩]،فالإسلام هو دين الله تعالى من عهد سيدنا إبراهيم إلى خاتم الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، كما قال الله تعالى عن سيدنا إبراهيم في بيان هذه الوحدة وربطها بالمرسل سبحانه وتعالى: { مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ }[الحج:٧٨].

فيخبر الله تعالى أنه قد أنزل كتاباً وآتاه لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، وجعله كتاب رحمة وهداية ونور وموعظة لمن تبعه وعمل به، قال:{ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ

[١] - الطبري،جامع البيان ج١٠ ص٣٣٨،القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص ١٨٨

يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} ،أي هدى في بيان أحكام الله وشريعته، ونور في بيان العقائد والتوحيد والنبوة والمعاد والتبشير برسول الله صلى الله عليه وسلم ،كما أنه نور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات وفي الإخراج من الظلمات إلى النور.[١]

وقد مر في الآية السابقة أن التوراة فيها هدى ونور، فالنور واحد لا يتجزأ ،إنما الأحكام والتشريعات تتبدل أو تنسخ أو تثبت ،وهذا ما بينه -جل وعلا- في وصف الإنجيل بقوله:{ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ}.

من ذلك يتبين أن الكتب السماوية بما فيها القرآن الكريم نور للبشرية فهي نيرة بنفسها منيرة لغيرها؛لأنها من عند خالق البشرية سبحانه وتعالى، فهي تحمل النور الذي يقودهم إلى ما فيه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

[١] - انظر ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ١٢٦

المبحث الثالث: نور الرسول صلى الله عليه وسلم في هدايته

جعل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم كتابا يستنير به الإنسان في حياته الطريق المستقيم والنهج القويم الذي أراده الله تعالى له ، فالإنسان دون هذا النور الإلهي يبقى يتخبط في هذه الحياة دون هدف محدد.

ونور القرآن يحتاج إلى من يبلغه إلى الناس ويوضح لهم نوره ومضامينه ومعانيه وهدايته، فأسند هذا العمل إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليبينوه للناس، ويخرجوهم من ظلمات الجهل والضياع والحيرة والكفر والتيه إلى نور الإيمان والعلم والرقي بالروح والجسد إلى ما فيه السعادة لهم في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى في حق سيدنا موسى عليه السلام:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }[إبراهيم:٥]

أي: "ادعهم إلى الخير، ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان."[١] .

فكذلك سائر الأنبياء لهم تلك الوظيفة في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ودعوتهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتكون مقرونة بإذن الله تعالى.

لذلك في عدد من الآيات يخاطب الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه أنزل عليه الآيات القرآنية ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ،ولإرشادهم ودعوتهم إلى توحيده تعالى ،ونبذ الشرك والتعلق بغيره من الأسباب التي جُعلت حجابا بين العبد وربه يقول تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }[إبراهيم:١] أي أن وظيفته عليه الصلاة والسلام توضيح المنهج الإلهي للناس وتبيان هذه الآيات بأن ينير لهم الطريق السوي المستقيم المنير الذي في الهداية والنجاة ليخرجوا من الظلمات إلى النور.

يقول الطبري:" لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفرِ ، إلى نور الإيمان وضيائه ، وتُبصِّر به أهلَ الجهل والعمَى سُبُلَ الرَّشاد والهُدَى ،وقوله: { بإذن ربهم} يعني: بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم

[١] - ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ج٤ ص ٤٧٨

،وقوله: { إلى صراط العزيز الحميد} يعني: إلى طريق الله المستقيم ، وهو دينه الذي ارتضاه ، وشَرَعُه لخلقه .... وأضاف -تعالى ذكره- إخراجَ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم لهم بذلك إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الهادي خَلْقَه ،والموفقُ من أحبَّ منهم للإيمان ، إذ كان منه دعاؤهم إليه ، وتعريفهُم ما لهم فيه وعليهم"[١].

وهذا فيه منة لهذه البشرية بنعمت الله عليها بأن بعث لها من يطهرها وينورها ، وفيه بيان شرفه وقدره عليه الصلاة والسلام عند الله تعالى بأن جعل دعوته عامة شاملة لجميع البشرية وليست لقومه خاصة، فهو الذي اصطفاه واختاره من البشر.

قال الرازي:"كان هذا إنعاماً على الرسول من حيث إنه فوض إليه هذا المنصب العظيم ، وإنعاماً أيضاً على الخلق من حيث إنه أرسل إليهم من خلصهم من ظلمات الكفر وأرشدهم إلى نور الإيمان ، فذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تكميل النعمة والإحسان في الوجهين، أما بالنسبة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فلأنه تعالى بين أن سائر الأنبياء كانوا مبعوثين إلى قومهم خاصة ، وأما أنت يا محمد فمبعوث إلى عامة الخلق ، فكان هذا الإنعام في حقك أفضل وأكمل ، وأما بالنسبة إلى عامة الخلق ، فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث رسولاً إلى قوم إلا بلسان أولئك القوم ، فإنه متى كان الأمر كذلك ، كان فهمهم لأسرار تلك الشريعة ووقوفهم على حقائقها أسهل ، وعن الغلط والخطأ أبعد "[٢] فهذه الأمة المحمدية لها الفضل على جميع الخلائق لما شرفها الله به من أنها خير أمة أخرجت للناس ،وظيفتها وظيفة الأنبياء من بيان نور الحق والهداية للناس وبيان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كذلك من البراهين والأدلة على صدق دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم المعجزات التي ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام ،وعلى رأسها القرآن الكريم ،فالدارس لسيرته عليه الصلاة والسلام يرى من المعجزات الباهرات الواضحات النيرات التي يعجز عنها البشر ،وهي أيضا من باب الهداية للناس وسبب نجاتهم في الآخرة وإخراجهم من ضيق الصدر وضيق الحياة إلى السعادة الأبدية ،قال تعالى :{هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الحديد:٩].

وقد ذكر البقاعي في بيان تلك الآيات كلاماً نفيسا فقال:" أي علامات هي من ظهورها حقيقة بتأن يرجع إليها ويتقيد بها { بينت } جداً على ما له من النعوت التي هي في غاية الوضوح { ليخرجكم } أي الله أي عبده بما أنزل إليه مع أنه بشر مثلكم ، والجنس إلى جنسه أميل ومنه أقبل ، ولا سيما إن

---

[١] - الطبري،جامع البيان ج١٦ ص ٥١١

[٢] - الرازي،التفسير الكبير ج١٩ ص٦٣

كان قريباً ولبيباً أريباً { من الظلمات } التي أنتم منغمسون فيها من الحظوظ والنقائص التي جبل عليها الإنسان والغفلة والنسيان الحاملة على تراكم الجهل ، فمن آتاه سبحانه العلم والإيمان فقد أخرجه من هذه الظلمات التي طرأت عليه { إلى النور } الذي كان وصفاً لروحه وفطرته الأولى السليمة"[1]

نلحظ من ذلك أن فعل الإخراج يصح أن يعود على الله -جل قدره - لأنه المرسل لرسوله صلى الله عليه وسلم والآمر له بالدعوة إليه ،أو عوده على الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه القائم بأعمال الدعوة إلى الله ،فعمله عليه الصلاة والسلام هو توضيح الإيمان للناس وتذكيرهم بالله تعالى ودعوتهم إليه لقوله تعالى : {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ }[الغاشية:٢١] ، وقوله:{قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[الطلاق:١٠-١١]

فعمله صلى الله عليه وسلم هو إنارة الحق للناس، فمن كان بصير القلب توجه إلى ذلك النور ومن كان أعمى البصيرة خسر الدنيا والآخرة، فإنزال الله تعالى هذا الذكر وهو النبوة والرسالة والاصطفاء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أجل أن يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور.

وقد ذكر المفسرون في معنى قوله تعالى { لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} عددا من الأقوال :

الأول : أن هذا الإخراج في الزمن الماضي أي قبل أن يصيروا مؤمنين ، فبه آمنوا وعملوا الصالحات.

الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام يخرج من سبق أنه في علم الله من الكفر إلى الإيمان ، فبسببه قدر لهم أن يصبحوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات .[2]

الثالث : أنه يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات تحدث لهم بعد إيمانهم.

وهذا ما ذهب إليه البقاعي إذ قال : " { ليخرج الذين آمنوا } أي أقروا بالشهادتين { وعملوا } تصديقاً لما قالوه بألسنتهم وتحقيقاً لأنه من قلوبهم { الصالحات } من الأعمال { من الظلمات } أي النفسانية والأخلاق الرذيلة المؤدية إلى ظلمة الجوارح بعملها الظلم وانتشارها في السبل الشيطانية { إلى النور } الروحاني الخالص الذي لا دنس فيه بسلوك صراط الله الذي هو واحد لا شتات فيه وبين لا

[1] - البقاعي ،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٧ ص ٤٧٧
[2] - انظر المصدر السابق ج١٦ ص٥١١ -٥١٢

لبس فيه { وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل } [الأنعام : ١٥٣] كما بادروا إلى إخراج أنفسهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ومن فساد الأعمال الصالحة إلى سداد الأعمال الصالحة ، وذلك بأن يصيرهم متخلقين بالقرآن ليكونوا مظهراً له في حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم فيكونوا ذكراً".[1]

والذي أميل إليه من بين هذه الأقوال القول الثالث ؛ وذلك لأن الآيات السابقة كانت مخاطبة لجميع الناس كما في قوله تعالى قال تعالى: {الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }[إبراهيم:١] ،ففي هذه الآية كان المعنى الإخراج من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ،وبعد دخولهم في نور الإيمان يحتاجون إلى أن يطهروا قلوبهم من سائر الظلمات ،فكان ذلك باتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم المبعوث من أجل تطهير الناس وتنقيتهم من تلك الظلمات .قال الله تعالى : " {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }[البقرة:١٥١]

فتزكية النفس يحتاج إليها الإنسان دائما ،لأن أمراض القلوب تؤدي إلى ظلمات ،والمعاصي ظلمات ،والبعد والغفلة عن الله ظلمات، فالإنسان لا يصبح منير القلب إلى إذا زكت نفسه ،وتعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى.

وكما وصف الله سبحانه وتعالى نبيه بأنه يخرج الناس من الظلمات إلى النور بدعوته وبنوره الذي أسداه عليه من نور القرآن ومن نور هديه ومن نور خلقه وخِلقته عليه السلام فهو كما وصفه الله تعالى بقوله : {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }[النجم:٤]، وصفه بأنه نور يشرق وينير للناس طريقهم بهدايته وإرشادهم إلى الله تعالى، وهو سراج منير لهم، كما جاء ليبين الحق لأهل الكتاب وينير لهم طريق الصدق والصواب، ويكشف لهم الحقائق التي أخفوها عن الناس.

قال تعالى : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ }[المائدة:١٥]

يبين الله عز وجل أنه أرسل رسولاً من عنده { قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا }، ثم بين سبحانه وتعالى أن هذا الرسول هو نور يبين طرق الهداية بما معه من الآيات والكتاب المبين الذي يبين الحق { قَدْ جَاءكُم

[1] - البقاعي،نظم الدرر ج٨ ص٣٨

مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ }؛ وذلك ليبين للناس أنه من عنده، فكل شيء منه سبحانه وتعالى للناس هو نور، كما وصف كتابه بأنه نور.[١]

فيخاطب سبحانه وتعالى أهل الكتاب منبهاً ومذكراً لهم بأنه قد أرسل لهم رسولاً من عنده يبين ويظهر لهم بعض ما كانوا يخفون من الأحكام التي في كتبهم كحكم رجم الزاني وأحكام الربا ،وأحكام الخمر ،وبشارة الكتب السابقة بمجيئه صلى الله عليه وسلم ،كما يخبرهم سبحانه وتعالى أنه عليه الصلاة والسلام يخفي ويعرض ويتغافل عن كثير من الأمور التي يخفونها سترا لهم ولعدم فضيحتهم ،وهذا كله فيه دلالة على صدق ورحمة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم النبي الأمي الذي لم يقرأ كتابا ولم يجلس عند أحد ،يخبرهم بما في كتبهم ،وأنه مرسل من عند الله تعالى وكذلك لما في ذلك من بيان أخلاقه الرفيعة من ستره على كثير من الأمور التي يخفونها.[٢]

يقول القشيري :" وصف الرسولَ صلى الله عليه وسلم بإظهار بعض ما أخفوه ، وذلك علامة على صدقه؛ إذ لولا صدقه لما عرف ذلك . ووصفه بالعفو عن كثير من أفعالهم ، وذلك من أمارات خلقه ؛ إذ لولا خلقه لما فعل ذلك ؛ فإظهار ما أبداه دليل علمه،والعفو عما أخفى برهانِ حلمه"[٣]

والنور كما مر سابقا في تعريفه أنه الذي يبين الأشياء ويظهرها للأبصار فترى حقيقة ما تراه ، فالله سبحانه وتعالى يخاطب أهل الكتاب بأنه قد أرسل إليهم هذا النور وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليبين لهم حقيقتهم وما هم عليه من الزيغ والضلال عن الطريق المستقيم ،كما أنه سبحانه وتعالى أرسل مع هذا النور القرآن الكريم زيادة في إكمال الحجة عليهم في تبين الحق والهداية للناس.

يقول الرازي :"وتسمية محمد والإسلام والقرآن بالنور ظاهرة ، لأن النور الظاهر هو الذي يتقوى به البصر على إدراك الأشياء الظاهرة ، والنور الباطن أيضاً هو الذي تتقوى به البصيرة على إدراك الحقائق والمعقولات "[٤]

والمتمعن في قوله تعالى "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" بعد خطاب أهل الكتاب يرى فيه خطابا عاما للناس أجمع، لمن أراد أن يرى الطريق المستقيم النير الذي فيه رضوان الله تعالى ، وفوائد جمة في إتباع نور هدايته عليه السلام وفي إتباع شريعته، يقول جل جلاله : {يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[المائدة:١٦]

---

[١] - انظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم ج٢ ص٢١٤
[٢] - أنظر الطبري،جامع البيان ج١٠ ص ١٤٠-١٤١ ، ابن كثير،تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٦٧-٧٠
[٣] - القشيري، لطائف الاشارات ج٢ ص٩٨
[٤] - الرازي،التفسير الكبير ج١١ ص١٥١

فهو سبحانه وتعالى جعل الهداية في إتباع نور النبوة، لذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى وحد الضمير فقال يهدي به يقول الآلوسي :" توحيد الضمير لاتحاد المرجع بالذات ، أو لكونهما في حكم الواحد ، أو لكون المراد يهدي بما ذكر"[١] فهذا النور مرجعه من الله تعالى القائل : {قد جاءكم من الله}، لذلك كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم " اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفى بصري نورا ، وفى سمعي نورا ، وعن يميني نورا ، وعن يساري نورا ، وفوقي نورا ، وتحتي نورا ، وأمامي نورا ، وخلفي نورا ، واجعل لي نورا "[٢] ، وزاد مسلم في روايته "واجعلني نورا"[٣]، فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصفه الله تعالى بالسراج المنير يسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله نوراً وأن يجعل في كل عضو منه نورا، وهو القدوة العظمى لهذه الأمة، يهدي الله سبحانه وتعالى بإتباعه إلى سبل السلام،إلى الطريق الذي يريده الله تعالى الذي فيه السلامة.

كذلك من هذه الفوائد إخراج الله تعالى لمن تبع نوره من ظلمات الجهل والضلال والزيغ إلى نور الإيمان ونور الحق ونور العلم ونور الصدق مع الله تعالى بإذنه تعالى، ومعنى بإذنه " تحبيبه إياه الإيمان برفع طابع الكفر عن قلبه، وخاتم الشرك عنه، وتوفيقه لإبصار سُبُل السّلام"[٤] فالسداد والتوفيق هو في اتباع شريعة الله تعالى التي فيها النور والهداية، لذلك قال: {وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} أي إلى طريق مستقيم، وهو دين الله القويم الذي لا اعوجاج فيه.[٥]

وأما قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً*وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً }[الأحزاب:٤٥- ٤٦] يصف الله سبحانه وتعالى نبيه بأوصاف عدة، وأعظمها خطابه له بالنبوة {يا أيها النبي} ولم يقل له يا محمد. وهذا من باب الإكرام لهذا النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، والمستقرئ لكتاب الله تعالى يجد أنه لا يوجد فيه نداء للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بـ يا محمد أو يا أحمد وإنما يكون نداء الله له بأوصافه عليه السلام {يا أيها الرسول} {ويا أيها النبي}، وأما غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكان خطابه لهم بأسمائهم يا نوح، يا موسى عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عدة صفات لنبينا عليه الصلاة والسلام يقول القرطبي :"هذه الآية فيها تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، وتكريم لجميعهم ،وهذه الآية

---

[١] - الآلوسي،روح المعاني ج ٤ ص ٤٢٨
[٢] - رواه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الدعاء إذا انتبه بالليل ج٥ ص ٢٣٢٧ رقم الحديث ٥٩٥٧
[٣] - رواه مسلم في باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه ج٢ ص١٨٠ رقم الحديث ١٨٣٠
[٤] - الطبري،جامع البيان ج١٠ ص١٤٥
[٥] - المرجع السابق ج١٠ ص ١٤٦

تضمنت من أسمائه صلى الله عليه وسلم ستة أسماء ولنبينا صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة وسمات جليلة".[1]

كما جاء في المستدرك عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :(إني عبد الله ، وخاتم النبيين ، وأبي منجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي آمنة التي رأت) وكذلك أمهات النبيين يرين ، وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته له نورا أضاءت لها قصور الشام ، ثم تلا :{يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا }.[2]

فرسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد على أمته بأنه قد بلغهم ما أمره الله بتبليغه ودعاهم إلى توحيده ولم يكتم شيئا، كما أنه شاهد على الأمم الأخرى بأن أنبيائهم قد بلغوهم ودعوهم إلى الإيمان بالله ،وكذلك أمته عليه الصلاة والسلام تكون شاهدة على الأمم الأخرى بأن أنبيائهم قد بلغوهم[3]، فالشهادة تبين الوقائع وتظهر الحق فهي كالنور المحسوس تبين المخفي والمستور .

وأرى من تقديم شهادته عليه الصلاة والسلام على البشارة لما في ذلك من الترهيب للناس في إقامة الحجة عليهم في أنه قد بلغ ونصح وأدى، وفي ذلك إنارة للحق، فيكون السعيد هو من حظي ببشارته وترغيبه عليه السلام فعمل وأطاع ،والشقي هو من لم تنله هذه البشارة ولم يفده الإنذار، فحرم من رحمة الله تعالى التي جعلها في نبيه صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الأنبياء:١٠٧]

كما جعل الله سبحانه وتعالى دعوته عليه الصلاة والسلام مقرونة بالتسهيل والتيسير لأنها من أمره وبإذنه سبحانه وتعالى ، يقول الآلوسي:" { وَدَاعِياً إِلَى الله } أي إلى الإقرار به سبحانه وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله عز وجل .... { بِإِذْنِهِ } أي بتسهيله وتيسيره تعالى ، وأطلق الإذن على التسهيل مجازاً لما أنه من أسبابه لا سيما الإذن من الله عز وجل ولم يحمل على حقيقته وإن صح هنا أن يأذن الله -تعالى شأنه- له عليه الصلاة والسلام حقيقة في الدعوة لأنه قد فهم من قوله سبحانه : إنا أرسلناك داعياً أنه صلى الله عليه وسلم مأذون له في الدعوة ، ومما ذكر يعلم أن { بِإِذْنِهِ } من متعلقات داعياً ، وقيدت الدعوة بذلك إيذاناً بأنها أمر صعب المنال وخطب في غاية

---

[1] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٠٠

[2] - رواه الحاكم في مستدركه وصححه ،تفسير سورة الأحزاب ج٢ ص ٤٥٣ رقم الحديث :٣٥٦٦

[3] - انظر القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢٠٠

الإعضال لا يتأتى إلا بإمداد من جناب قدمه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وإدخال للأعناق في قلادة غير معهودة "[1]

من ذلك نعلم أن شرف الدعوة إلى توحيد الله نال أرفع الرتب والمقامات وأعلى الدرجات وأقصى الغايات لما فيه من التسهيل والتيسير المقرون بإذن الله جل جلاله ،قال جل جلاله : {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ }[فصلت:٣٣].

وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالسراج المنير لأنه يدعو الناس إلى الحق وإلى الهداية وإلى الطريق المستقيم، ويبين الجصاص سبب هذه التسمية بقوله :" سُمي النبي صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا تشبيها له بالسراج الذي به يستنار الأشياء في الظلمة ؛ لأنه بعث صلى الله عليه وسلم وقد طبقت الأرض ظلمة الشرك"[2].

فالله سبحانه وتعالى وصفه بالسراج المنير لأنه يزيل الظلام عن القلوب ، وينيرها بنور الإيمان بالله المعبود ،فدعوته سرت حتى أظهره الله على جميع الأديان الأخرى قال تعالى :{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً }[الفتح:٢٨]، " ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس في مشارق الأرض ومغاربها إذا استعلت وتوسطت السماء؛ ولهذا سماه الله " سراجا منيرا " وسمى الشمس " سراجا وهاجا " والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج؛ فإن هذا يحتاجون إليه في وقت دون وقت، وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان ليلا ونهارا سرا وعلانية"[3]، وقد وصفه بالإنارة؛ لأن من السرج ما لا يضيء إذا قل سليطة ودقت فتيلته[4]، فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو سراج منير للخلائق ينير الطريق المستقيم للناس، فمن تبعه كان على نور وهداية وسعادة واستنار قلبه، ومن رفضه ولم يتبعه كان في ظلام هالك. فنهجه عليه الصلاة والسلام وشريعته هي من خالق البشرية أجمع فهو عالم بأسباب السعادة لها.

كذلك كل من قام بعمله صلى الله عليه وسلم من العلماء هم كالسرج في الأرض للناس يكشفون الحقائق للناس، ويرشدوهم إلى طريق الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى.

---

[1] - الآلوسي،روح المعاني ج٢٢ ص٤٦

[2] - الجصاص ،أحمد بن علي الرازي، **أحكام القرآن**، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،١٤٠٥هـ ج٥ ص٢٣١

[3] - ابن القيم الجوزية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٦٨

[4] - الزمخشري،الكشاف ج٣ ص ٥٥٦

يقول الإمام البوصيري[١]:

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفاً من البحر أو رشفاً من الديمِ

وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحِكَمِ

وقد أشار الغزالي في المشكاة إلى ذلك بقوله :" تفيض بواسطته أنواع المعارف على الخلائق، وبهذا نفهم معنى تسمية الله محمدا عليه السلام سراجا منيرا. والأنبياء كلهم سرج، وكذلك العلماء ولكن التفاوت بينهم لا يحصى"[٢]؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }[النجم:٣-٤]، بل كل ما أخذ عنه العلماء من العلم والقرآن هو من وحي الله تعالى، لذلك كان سراجا عليه الصلاة والسلام للعلماء ينهلون من علومه عليه الصلاة والسلام.

[١] - البوصيري،شرف الدين، **البردة ونهج البردة في مدح الرسول الأعظم** ،مطابع وزارة الأوقاف والشوؤن والمقدسات الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ص ١٠

[٢] - الغزالي مشكاة الأنوار ص٥٣

الفصل الثاني: أسباب النور وزواله في حياة الإنسان

- المبحث الأول: أسباب النور
- المطلب الأول : الإيمان والتقوى والتوبة
- المطلب الثاني: الذكر والعلم
- المبحث الثاني:أسباب زوال النور
- المطلب الأول :الوقوع في الظلم والظلمات
- المطلب الثاني: التكذيب، ومواجهة الحق، والنفاق

- تمهيد:

إن من فضل الله تعالى على عباده الذين خلقهم وكرمهم وأرسل إليهم رسله لكي يبينوا لهم الطريق السوي المستقيم، الذي ينور لهم حياتهم، جعل لذلك أسبابا نذكرها حتى نزداد إقبالا على هذه الأصول العظيمة، ونبتعد عن الأسباب التي تؤدي إلى زوال النور من حياة الإنسان.

المبحث الأول: أسباب النور

المطلب الأول : الإيمان والتقوى والتوبة

الإيمان هو سبب للنور لأنه متعلق بالقلب ،وهو الركن الأساسي الذي بدأ الإسلام به في تكوين شخصية المسلم وتهذيبها وضبط سلوكه وتنمية التقوى لديه ،لأنه الجذر الأول في بناء شخصيته وهو العنصر الأساسي المحرك لعواطفه والموجه لأرادته ،ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان إزداد تقواه لله عز وجل، واستقامت الأساسيات الكبرى لديه وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والإرشاد وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه وضبطها فيما يدفع عنه الضر والألم والمفسدة، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة، العاجل من كل ذلك والآجل.[١]

-فأما الإيمان : فلا ننسى أن له علاقة بطبيعة خلق الإنسان الذي هو مخلوق من طين وروح ،فالإيمان مرتبط بروح الإنسان وهو متعلق بالعبادات والطاعات ،فكلما إزداد إيمان الإنسان بأعماله وعباداته إزدادت روحه إشراقا ونورا ،وكلما قل قل هذا النور ،لذلك قال الله تعالى : { سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ }[الفتح:٢٩].

وقد فصل في ذلك سيد قطب فقال:" والإيمان بالله نور يشرق في القلب ، فيشرق به هذا الكيان البشري ، المركب من الطينة الغليظة ومن نفخة روح الله . فإذا ما خلا من إشراق هذه النفخة ، وإذا ما طمست فيه هذه الإشراقة استحال طينة معتمة . طينة من لحم ودم كالبهيمة ، فاللحم والدم وحدهما من جنس طينة الأرض ومادتها . لولا تلك الإشراقة التي تنتفض فيه من روح الله ، يرقرقها الإيمان ويجلوها ، ويطلقها تشف في هذا الكيان المعتم ، ويشف بها هذا الكيان المعتم .

والإيمان بالله نور تشرق به النفس ، فترى الطريق . ترى الطريق واضحة إلى الله ، لا يشوبها غبش ولا يحجبها ضباب . غبش الأوهام وضباب الخرافات . أو غبش الشهوات وضباب الأطماع . ومتى رأت الطريق سارت على هدى لا تتعثر ولا تضطرب ولا تتردد ولا تحتار .

---

[١] - انظر عبد الرحمن حبنكة ،العقيدة الإسلامية ص٣٠

والإيمان بالله نور تشرق به الحياة ، فإذا الناس كلهم عباد متساوون . تربط بينهم آصرتهم في الله وتتمحض دينونتهم له دون سواه ، فلا ينقسمون إلى عبيد وطغاة . وتربطهم بالكون كله رابطة المعرفة . معرفة الناموس المسير لهذا الكون وما فيه ومن فيه . فإذا هم في سلام مع الكون وما فيه ومن فيه ".[١]

فكيف يتعلق الإنسان بهذا السبب العظيم حتى تتحقق له آثاره الطيبة في حياته وسلوكه، يعيننا على ذلك العلماء الذين وضحوا أهمية ربط الإيمان بشخصية الإنسان بمعنى ربط التصديق بالإقرار والعمل عندما قالوا :"الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان"[٢].

وإلا فإيمان بلا عمل إدعاء لأن الإيمان والعمل صنوان لا يفترقان، كما بين العلماء أن الإيمان بمفهومه الشرعي له ثلاثة عناصر مجتمعه [٣]:

١. اعتقاد القلب

٢. إقرار اللسان

٣. عمل الجوارح والأركان

فالعنصر الأول هو أساس الإيمان وأصله ،فهو عمل باطني متعلق بالقلب،ويشمل الناحية الفكرية والناحية النفسية (الوجدانية)،فالعقيدة مركزها من حيث الاعتقاد بها هو القلب [٤]،قال الله تعالى : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }[ق:٣٧] ،فالقلب هو محل النور الإلهي ومحل التصديق والإيمان ،والباعث على الخوف من الله تعالى وتقواه، وهو الذي إذا صلح صلح الجسد كله،قال عليه الصلاة والسلام: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[٥].

وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أجر الذي يصدق في إيمانه وتقواه ،ويستقيم على نهج الله تعالى بأن يعطيه نورا على قدر إيمانه وتقواه، قال الله تعالى: قال الله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

---

[١] - سيد قطب ،في ظلال القرآن ،ج٤ ص٣٨٦

[٢] ـ الساموك، سعدون محمدود، العقائد الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص٤٥

[٣] - الساموك،سعدون محمود ،**العقائد الإسلامية** ،دار وائل للنشر الأردن،الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص ٤٥

[٤] - انظر الشلول ،زكريا إبراهيم ،**أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني**،دار الكتاب الثقافي،الأردن،٢٠٠٥ ،ص ١٣

[٥] - رواه البخاري،صحيح البخاري، كتاب الأيمان: باب فضل من استبرأ لدينه، حديث [٥٢] ،ج١ ص٢٨

وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }[الحديد:١٩]

فكلما ازداد الإنسان عبادة وطاعة ازداد إيمانه ونوره،وكلما ابتعد عن العبادات والطاعات نقص إيمانه ونوره [١]، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }[الأنفال:٢] وقال: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى } [مريم:٧٦]

والإنسان المؤمن بالله تعالى يستشعر لذة إيمانه وحلاوته ونوره،لأن هذا النور ينقلب إلى شيء مادي في الآخرة ،يقول عليه الصلاة والسلام:(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[٢]، فتلك علامة الإيمان، وكما في قوله سبحانه وتعالى : {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }[الحديد:١٩]

فإن الإقرار بوحدانية الله وإرساله رسله،والإيمان بما جاءوهم به من عند ربهم، أولئك هم الصدّيقون.

والصدّيق بتشديد الدال مبالغة في المُصَدِّق، وإنما وصفوا بأنهم صدّيقون لأنهم صدّقوا جميع رسل الحقِّ سبحانه وتعالى ،ولم تمنعهم عن ذلك عصبية ولا عناد، وفي جمع (ورسله) تعريض بأهل الكتاب الذين قالوا : نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، فاليهود آمنوا بالله وبموسى ، وكفروا بعيسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام ، والنصارى آمنوا بالله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمنوا برسل الله كلهم ، ولذلك وصفوا بأنهم الصدّيقون.[٣]

وذهب الزمخشري إلى أنهم بمنزلة الصديقين والشهداء فقال:" يريد أنّ المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء ؛ وهم الذي سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله { لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ } أي : مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم . فإن قلت : كيف يسوّي بينهم في

---

[١] - انظر الدوري،قحطان،وآخرون،**أصول الدين الإسلامي**،دار الفكر،الطبعة الأولى ،١٩٩٦م ،عمان ،ص ٢٣
[٢] - رواه البخاري ،باب حلاوة الإيمان، ،ج١ ص١٤ رقم الحديث :١٦
[٣] - انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٧ ص ٣٩٧

الأجر ولا بدّ من التفاوت ؟ قلت : المعنى أنّ الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله ، حتى يساوي أجرهم مع إضعافه أجر أولئك"[1].

وقد بين الله سبحانه وتعالى أجر ونور هؤلاء الذين ذكرهم بصفاتهم ،فقال سبحانه وتعالى: { لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}، والتقدير : لهم أجرهم مستقر عند ربهم ، والعندية مجازية مستعملة في العناية والحظوة ،ومعنى إضافة أجر ونور إلى ضميرهم أنه أجر يعرَّف بهم ونور يعرف بهم .[2]

فهؤلاء لهم أجر ونور عند ربهم، ولكن لم يحدده بأجر معين معلوم ،بل جعله غير معلوم؛ حتى يجتهدوا في هذه الحياة،ويكون لكل مجتهد منهم نصيب ،فيعطي كل إنسان من الأجر والنور على قدر صدقه في إيمانه وعمله وإخلاصه،فيكون العدل الإلهي بين الناس يوم القيامة كلٌ على قدر عمله وإيمانه وإخلاصه.

يقول ابن عاشور:" وإذ قد كان مقتضى الإضافة أن تفيد تعريف المضاف بنسبته إلى المضاف إليه، وكان الأجر والنور غير معلومين للسامع كان في الكلام إبهام يكنى به عن أجر ونور عظيمين ، فهو كناية عن التنويه بذلك الأجر وذلك النور ، أي أجر ونور لا يوصفان إلا أجرهم ونورهم ، أي أجراً ونوراً لائقَيْن بمقام ، مع ضميمة ما أفادته العندية التي في قوله : {عند ربهم} من معنى الزلفى والعناية بهم المفيد عظيم الأجر والنور"[3]

وقال ابن كثير:" لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال"[4].

وقد ختم الله سبحانه وتعالى هذه الآية بالإخبار عن الكافرين الكاذبين الذي كذبوا الرسل عليهم السلام وكذبوا ما جاءوا به من الوحي والآيات،أنهم أصحاب النار.وذلك يبين للمؤمنين بأن إيمانهم أنجاهم من تلك النار.

---

[1] -الزمخشري ،الكشاف، ج٤ ص٤٧٦

[2] - ابن عاشور،التحرير والتنوير ، ج٢٧ ص٣٩٨

[3] - المصدر السابق ، ج٢٧ ص٣٩٩

[4] -ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج٨ ص٢٢

وهذه المقارنة بين أجر المصدقين وبين أجر الكاذبين ،والتعبير عنهم بأصحاب مضاف إلى الجحيم دلالة على شدة ملازمتهم للجحيم [1]،قال تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }[الحديد:١٩].

ويصف الله سبحانه وتعالى هذا النور الذي أعطاه لهؤلاء الذين وصفهم في الآية السابقة بالإيمان وبالصدق في مشهد حاضر للسامع فيقول :{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[الحديد:١٢]

فيبين سبحانه وتعالى أن ثواب الذين يؤمنون به وبرسله لهم أجر ونور ، وهذا النور يسعى مع المؤمنين يوم القيامة بين أيديهم وبأيمانهم من كل جهة وجانب. فقوله: {من بين أيديهم وبأيمانهم} دلالة على إلصاق هذا النور بهم أي أنه ليس بعيدا عنهم، وقوله: {وبأيمانهم} دلالة على أن هذا النور بجوانبهم. وإنما خص سبحانه وتعالى الأيمان؛ لأنها أشرف الجهات .[2]

هذا النور الذي نشأ من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسله وبما جاءوا به من الوحي والتصديق به، تحول هذا النور الذي كان معهم في الدنيا من نور معنوي إلى نور حسي يسعى حولهم في اليوم الآخر، يعبر عنه سبحانه وتعالى بالرؤية البصرية بالعين المحسوسة، حتى يصور لنا هذا المنظر كأنه قريب أمامنا،يقول سيد قطب : " فنحن الذين نقرأ القرآن اللحظة نشهد مشهداً عجيباً. هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات نراهم. ولكننا نرى بين أيديهم وبأيمانهم إشعاعاً لطيفاً هادئاً. ذلك نورهم يشع منهم ويفيض بين أيديهم . فهذه الشخوص الإنسانية قد أشرقت وأضاءت وأشعت نوراً يمتد منها فيرى أمامها ويرى عن يمينها . . إنه النور الذي أخرجها الله إليه و به من الظلمات . والذي أشرق في أرواحها فغلب على طينتها. أم لعله النور الذي خلق الله منه هذا الكون وما فيه ومن فيه ، ظهر بحقيقته في هذه المجموعة التي حققت في ذواتها حقيقتها ، ثم ها نحن أولاء نسمع ما يوجه إلى المؤمنين والمؤمنات من تكريم وتبشير{ بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، ذلك هو الفوز عظيم }."[3]

---

[1] -انظر ابن عاشور،التحرير والتنوير ، ج٢٧ ص٤٠٠

[2] - انظر المصدر السابق ،ج٢٧ ص٣٧٩_٣٨٠، وانظر ابن عادل، عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب** ، تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م ،الطبعة الأولى، ج١٨ ص ٤٦٧- ٤٧١

[3] - سيد قطب ،في ظلال القرآن ،ج٧ ص١٣١

يبين الله سبحانه وتعالى حال المؤمنين وصورتهم المستبشرة والمضيئة والنور بين أيديهم من خلال هذا النور العظيم الذي جاءهم من ذلك الإيمان ،فبثمرة ذلك النور الذي يسعى بين أيديهم يتوصلون به إلى المقامات العليا والدرجات العظمى في الجنان التي وعدهم الله إياها ،فالنور هو الطريق الوحيد الموصل إلى جنات عرضها السموات والأرض ،ومن هنا يتبين لنا حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله عز و جل : { يسعى نورهم بين أيديهم } قال : "يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، منهم من نوره مثل الجبل ،وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفئ مرة ويقد أخرى"[١].

وقال آخرون : "يوم ترون المؤمنين والمؤمنات يسعى ثواب إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم، وفي أيمانهم كتب أعمالهم تتطاير"[٢].

أي بأيديهم الطاهرة العاملة للصالحات المبادرة إلى الخيرات القائمة في الطاعات ،سُجلت أعمالهم ،وكتبت في صحائفهم وأعطيت لهم يوم القيامة قال الله عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً }[الانشقاق:٧-٩]

وذكر المفسرون أن هذا النور يكون للمؤمن حتى يسير ويجوز به على الصراط ويكون دليلا لهم إلى الجنة[٣]،قال ابن عاشور:" والنور المذكور هنا نور حقيقي يجعله الله للمؤمنين في مسيرهم من مكان الحشر إكراما لهم وتنويها بهم في ذلك المحشر .

والمعنى: يسعى نورهم حين يسعون، فحذف ذلك لأن النور إنما يسعى إذا سعى صاحبه".[٤]

ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى هؤلاء أهل الإيمان وأهل النور بالبشارة العظمى فيقول لهم :{بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[الحديد:١٢]، أي يقال لهم: بشارتكم اليوم أيها المؤمنون التي تبشرون بها، جنات تجري من تحتها الأنهار، فأبشروا بها، وهذه الأنهار بينها الله تعالى بقوله : {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ}[محمد:١٥]

وقوله: { خَالِدِينَ فِيهَا } أي ماكثين في الجنات، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون.

---

[١] - رواه الحاكم في مستدركه ج ٢، ص ٥٢١ ،باب تفسير سورة الحديد ،حديث رقم: ٣٧٨٥

[٢] - الطبري ،جامع البيان، ج٢٣ ص١٧٩

[٣] - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٧ ص ٢٤٢

[٤] -ابن عاشور،التحرير والتنوير،ج٢٧ ص٣٨٠

وقوله: { ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } وهذا بيان لهم بأنه لا يوجد فوز بهذه المرتبة وهذا الفوز وهو خلودهم في الجنات التي وصفها، فهذا هو النجاح العظيم الذي كانوا يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله، ودخول الجنة خالدين فيها.[١]

-وأما التقوى : فقد ربطها الله عز وجل في ثنايا آيات عديدة في القرآن الكريم، بلا فصل بينها وبين الإيمان ؛لأنها علامة على وجود الإيمان في القلب، والدافع للالتزام بأحكام الإسلام، ومن ذلك قوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }[الحديد:٢٨]

بدأ الله سبحانه وتعالى الآية بخطاب عام وشامل موجه إلى أصحاب الإيمان والتقوى،يخاطب فيه القلب الذي آمن بالله عز وجل ووقر الإيمان فيه، وذلك لأن لفظ الإيمان يعم الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، أعمال القلب وأعمال الجوارح ، قال الله تعالى : {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}[الحجرات:١٤] ،

وقد اختلف في الخطاب في قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ } لمن هو: فقال بعضهم أنها نزلت خطاباً للمؤمنين من أهل الكتاب، اليهود والنصارى ومن القائلين بذلك: ابن عباس والضحاك، وعتبة بن أبي حكيم، وغيرهما، وقد اختاره ابن جرير.[٢]

وذهب بعضهم إلى أن هذه الآية في حق المؤمنين من أمة محمد عامة، ومن هؤلاء سعيد ابن جبير إذ قال:" لما افتخر أهلُ الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ } أي: ضعفين، وزادهم: { وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ } يعني: هدى يُتَبَصَّر به من العمى والجهالة، ويغفر لكم. فضلهم بالنور والمغفرة.[٣]

وقد شدد الشنقيطي _رحمه الله_ القول في هذه الآية في أنها في المؤمنين عامة ،وغلط كل من يقول بغير هذا الكلام فقال: "وأعلم أن ظاهر هذه الآية الكريمة من سورة "الحديد" ، الذي لا ينبغي العدول عنه، وأن الخطاب بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ} ، عام لجميع هذه الأُمّة كما ترى. وليس في خصوص مؤمني أهل الكتاب، كما في آية "القصص" المذكورة آنفًا، وكونه عامًا هو التحقيق إن شاء اللَّه؛ لظاهر القرآن المتبادر الذي لم يصرف عنه صارف، فما رواه النسائي

[١] - انظر الطبري ،جامع البيان ،ج٢٣ ص ١٨١_١٨٢، وانظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج١٧ ص ٢٤٢

[٢] -انظر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن،ج٢٣ ص٢٠٧-٢١٢

[٣] -ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم،ج٨ ص ٣٢

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما من حمله آية "الحديد" هذه على خصوص أهل الكتاب، كما في آية "القصص" ، خلاف ظاهر القرآن، فلا يصح الحمل عليه إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه، وإن وافق ابن عباس في ذلك الضحاك، وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما، واختاره ابن جرير الطبري.

والصواب في ذلك إن شاء اللَّه هو ما ذكرنا، لأن المعروف عند أهل العلم: أن ظاهر القرآن المتبادر منه، لا يجوز العدول عنه، إلا لدليل يجب الرجوع إليه".[1]

وأؤيد قول الشنقيطي رحمه الله ،وذلك للرواية التي يذكرها الطبري في قصة سيدنا جعفر رضي الله عنه مع أهل اليمن الذين وفدوا معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفيها:" فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: { يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا }؛ فخروا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا، فله أجره مرتين،ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فما فضلكم علينا، فأنزل الله{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ }، فجعل لهم أجرهم، وزادهم النور والمغفرة".[2]

ولأنه لا يجوز أن نصرفها عن ظاهرها إلا بصارف لها، ولأن ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة أعظم مما وعد به مؤمني أهل الكتاب وإتيانهم أجرهم مرتين.

فهذا الخطاب العام في هذه الآية فيه دلالة على عظم الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسوله وتقوى الله في اكتساب النور والمغفرة منه سبحانه وتعالى،فالله سبحانه وتعالى يضاعف الأجور ويزيدها على الإيمان به ،وهذا الإيمان منبعه كتاب الله تعالى والوحي ،فعلى قدر صدق الإنسان في إيمانه وتقواه يكون نصيبه من هذا النور، فالناس متفاوتون في النور والأجر على قدر تفاوتهم في قربهم من ربهم، فهذا قد مُلئ نوراً وإيماناً وبجانبه من هو أضعف منه نوراً.

والكفل لغة:الضعف من الأجر .[3] فالله عز وجل أعطى لأصحاب الإيمان من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم الأجر المضاعف عن الأمم الأخرى، كما زادهم النور والمغفرة ؛ لأن الإيمان هو سبب في مغفرة الذنوب، فالله عز وجل يتكرم بالنور وبمغفرة الذنوب بصفحها وسترها بقدر صدق

---

[1] -الشنقيطي،أضواء البيان،ج٦ ص٢٣٦

[2] -الطبري ،جامع البيان،ج٢٣ ص٢٠٩ ، حديث مرسل انظر : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين الزيلعي، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ، ج٣ ص٤١٩

[3] -ابن فارس،معجم مقاييس اللغة،ج٥ ص ١٨٨ مادة(كفل)

الإيمان وكثرة التقوى، لذلك كان ختام الله سبحانه لهذه الآية بقوله:" والله غفور رحيم"، أي أنه سبحانه وتعالى ذو مغفرة ورحمة لعباده.

وكانت الآية وعد من الله تعالى للمتمسكين بهدي القرآن الكريم ونوره والمتبعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم نوراً لمن آمن بهما وصدّقهما وهدىً لهم في حياتهم الدنيا والآخرة ، فلا يضل الواحد منهم ولا يبتعد عن طريق الحق.

-وأما التوبة :فإن من آمن بالله فأقر بوحدانيته في قلبه وأتبع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدى، يتعاهد نفسه دائما بالإستقامة على شرع الله تعالى والتوبة كلما أسرف على نفسه أو وقع في الذنب وأخطأ، قال الله تعالى: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[النور:٣١] ويقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[التحريم:٨]

أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في هذه الآيات الكريمة بالتوبة والرجوع إليه سبحانه وتعالى على الدوام لما للتوبة من أثر في المحافظة على نور العبد ، وهي واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة.[١]

يقول الإمام الشنقيطي:" ، ونداؤه لهم بوصف الإيمان في الآيتين فيه تهييج لهم، وحث على امتثال الأمر؛ لأن الاتصاف بصفة الإيمان بمعناه الصحيح، يقتضي المسارعة إلى امتثال أمر الله، واجتناب نهيه "[٢].

بل يأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتوبة النصوح بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً }[التحريم:٨]

قوله تعالى "توبة نصوحا":أي توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات[٣]، توبة تنصح القلب وتخلصه ، ثم لا تغشه ولا تخدعه .[٤]

---

[١] -الخازن، لباب التأويل ،ج٧ ،ص ١٢٢
[٢] - الشنقيطي ، أضواء البيان ،ج٥ ،ص ٥٢١
[٣] - ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم،ج٨،ص١٦٨
[٤] - سيد قطب ،في ظلال القرآن،ج٧ ص٢٥٥

وهي تبدأ بذكر الله عز وجل وخاصة الاستغفار لقوله سبحانه : {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً }[نوح:١٠] ، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ)[١].أي إن لم تشعروا بذنوبكم لذهب الله بكم، ففي حالة موت القلب لا يشعر الإنسان بالذنب ، وعلامة صحوة الإنسان وحياة القلب أنه يشعر بذنبه ،ويتوب إلى الله تعالى توبة نصوحا.

والله سبحانه وتعالى بين أنه يغفر بكرمه وجوده لمن جاءه تائبا مستغفرا نادما حتى لا ييأس الناس من رحمة الله فقال: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[الزمر:٥٣]،فالعاقل المتبصر لا يؤخر التوبة عن وقوع الزلل والذنب وإنما يتوب من قريب كما قال عز من قائل : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ }[النساء:١٧] ،لأن إهمال التوبة يؤدي بالإنسان إلى أن يزداد قلبه ظلمة وقساوة وبعدا عن الله تعالى وهذا الذنب قد ينقلب إلى عادة قال تعالى: { فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ }[الحديد:١٦]

وأما المنيب التائب فقد بشره الله سبحانه وتعالى بأن يديم عليه النور في قلبه، ويحفظه له في حياته الدنيا وحتى لقائه عز وجل، قال تعالى: { يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[التحريم:٨]

يبين الله عز وجل حال المؤمنين يوم القيامة وما يكون معهم من النور يوم القيامة، هذا النور الذي كان معهم في الدنيا بذكرهم وطاعتهم تحول إلى نور مادي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يسعى هذا النور أمامهم ومن كل جانب، وبأيمانهم كتابهم فيه البشرى.[٢]،وهم يسألون الله عز وجل ويظهرون حالة الافتقار والذل إلى الله تعالى كما كانوا في الدنيا يسألونه، ويدعونه في يوم وعدهم ألا يخزيهم فيه أن يتم لهم نورهم { يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } وذلك حين يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا { انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ }[الحديد:١٣].[٣]

وهم في رهبة الموقف وشدته يلهمون الدعاء الصالح بين يدي الله: { يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا، إنك على كل شيء قدير } . . وإلهامهم هذا الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة

---

[١] - رواه مسلم في صحيحه ،باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة،ج ٤، ص ٢١٠٦ حديث رقم: ٢٧٤٩

[٢] - انظر الطبري ،جامع البيان ،ج٢٣ ،ص ٤٩٥

[٣] - ابن عجيبة ،البحر المديد ،ج٨ ،ص ٨٦

ويسقط القلوب ، هو علامة الاستجابة . فما يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيب . فالدعاء هنا نعمة يمنّ بها الله عليهم تضاف إلى منة الله بالتكريم وبالنور.[١]

وقوله: { وَاغْفِرْ لَنَا } يقول: واستر علينا ذنوبنا، ولا تفضحنا بها بعقوبتك إيانا عليها{ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } يقول: إنك على إتمام نورنا لنا، وغفران ذنوبنا، وغير ذلك من الأشياء ذو قدرة.[٢]

وبهذا يتبين وجوب تجديد الإنسان توبته مع الله سبحانه وتعالى حتى يبقى قلبه مربوط الصلة بالله تعالى، ويبقى هذا القلب على نور من ربه تعالى.

وهذه الإكرام من الله عز وجل لهذه الأمة بأن تجتمع مع نبيها صفا واحدا تتلقى الكرامة ،فالله عز وجل لا يخزيها ،"وفيه فائدة عظيمة ، إذ الاجتماع بين الذين آمنوا ، وبين نبيهم تشريفٌ في حقهم وتعظيم".[٣]

هكذا يتبين مما سبق دور الإيمان والتقوى والتوبة النصوح في إنارة حياة المسلم وتحقيق الأجر العظيم له من الله عز وجل في الدنيا والآخرة.

[١] - سيد قطب ،في ظلال القرآن،ج٧ ص٢٥٥

[٢] - الطبري ،جامع البيان ،ج٢٣ ،ص ٤٩٦

[٣] - ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب،ج١٩،ص٢١٤

المطلب الثاني: الذكر والعلم

إن من وسائل تنوير القلب والفكر ذكر الله سبحانه وتعالى بأن يكون المؤمن كثير الذكر لمولاه عز وجل، ويحصل له الحضور مع الله ومراقبته في سائر الأمور والأحوال كما قال الله تعالى : {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }[آل عمران:١٩١] .

وهنا في الآية ربط الله سبحانه وتعالى بين الذكر والفكر كمقومات أساسية لبناء شخصية المسلم وتقويم سلوكه .

- وأما الذكر : فقد أمر الله عز وجل المؤمنين بكثرة ذكره تعالى حتى يكون سببا للإخراج من الظلمات إلى النور فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً }[الأحزاب:٤١-٤٣]

فيخاطب الله الذين أمنوا بأن يكثروا من ذكر الله تعالى ومن تسبيحه كل صباح وكل مساء ،لأنه المنعم المتفضل عليهم بالنعم المختلفة لما في ذلك من فوائد تعود عليهم في دنياهم من النور والمحبة والرضا ومن جزيل الثواب في الآخرة.[1]

وقد روى الطبري عن ابن عباس قوله في هذه الآية :" لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال{فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ } بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال: { وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا } فإذا فعلتم ذلك؛ صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عز وجل: { هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ } "[2].

فالله عز وجل يذكر من ذكره ويصلي عليه ويغفر له ويرحمه وينور قلبه وجوارحه ،ويخرجه من الظلمات إلى النور، يخرجه من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة والعبادة ،يخرجه من ظلمة الجهل والزيغ والانحراف إلى نور العلم والهدي والاستقامة ،قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ

١ - انظر ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج٦ ص٤٣١
٢ - الطبري ج٢ص ٢٧٩-٢٨٠

تَكْفُرُونِ }البقرة١٥٢ وفي الحديث القدسي يقول النبي صلى الله عليه و سلم : (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)[١].

فذكر الله كثيرا يجعل الإنسان يستشعر مراقبة الله له في كل مكان وفي كل زمان،كما يستشعر بأنه قريب منه ،لذلك لما سأل سيدنا جبريل عليه وسلم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان فقال : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[٢]

فالذكر الكثير يكون بالقلب ، وهو الذي يستديم به على طاعة الله ، وينتهي به عن معصيته .[٣]

وإن لذكر الله علامات غير تحريك اللسان ألا وهي القيام بالأعمال ومنها الصلاة وتلاوة القرآن.

فأما الصلاة وبابها وهو الوضوء فقد قال عليه الصلاة والسلام :(الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أوعليك)[٤]. فالصلاة بنص الحديث وسيلة إلى تنوير حياة العبد في قلبه وفى وجهه وفى قبره وفى حشره، إضافة للتسبيح والذكر.

ولهذا تجد أكثر الناس نوراً في الوجوه أكثرهم صلاة وأخشعهم لله عز وجل ،فهي نور للإنسان في جميع أحواله وهذا يقتضي أن يحافظ الإنسان عليها وأن يحرص عليها وأن يكثر منها حتى يكثر نوره وعمله وإيمانه .

وأما تلاوة القرآن الكريم فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله و النور المبين و الشفاء النافع)[٥]،فبتلاوته يستشرق القلب بنور المعرفة والإيمان.

---

[١] - رواه البخاري ، باب قول الله تعالى { ويحذركم الله نفسه } / آل عمران ٢٨ /،ج٦ ص٢٦٩٤ رقم الحديث ٦٩٧٠.

[٢] - رواه البخاري في صحيحح ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه و سلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ج١ ص٢١ رقم الحدبث ٥٠

[٣] - السمعاني، منصور بن محمد،**تفسير السمعاني**، تحقيق :ياسر بن إبراهيم وآخرون، دار الوطن – الرياض، ١٩٩٧م ، ج٣ ص٢٩٢

[٤] - رواه مسلم في صحيحه،- باب فضل الوضوء، ج ١/ ص ٢٠٤ حديث رقم: ٢٢٣

[٥] - رواه الحاكم في مستدركه، أخبار في فضائل القرآن جملة،ج١ ص٧٤١ ،رقم الحديث :٢٠٤٠ وقال صحيح الإسناد

"الذاكر المحقق يقصد إيقاظ قلبه وانباء أجزائه وابعاضه بذكر لسانه فهو يقول ببعضه ويسمع بكله إلى أن تنتقل الكلمة من اللسان إلى القلب فيتنور بها ويظفر بجدوى الأحوال ثم ينعكس نور القلب على القالب فيتزين بمحاسن الأعمال"[١]

وهكذا يتبين أن الذكر من الأسباب التي يرتكز عليها النور ،فكلما زاد ذكر الإنسان لربه سبحانه وتعالى زاد قربه وطاعته له عز وجل ،وزاد إيمانه ومراقبته.

وقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين في كتابه العزيز بكثرة الذكر له سبحانه كما في قوله: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[النور:٣٦-٣٨]

فذكرَ سبحانه وتعالى صفات أولئك المؤمنين الذين نور قلوبهم بهدايته بأنهم مشغولون بذكره سبحانه وتعالى والقيام في بيوته بالعبادة والتضرع إليه وإعمارها وصونها والعناية بها ،قال ابو حيان في تفسيره:" وإن ارتباط هذه بما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون ، ثم ذكر أشرف عبادتهم القلبية وهو تنزيههم الله عن النقائص وإظهار ذلك بالتلفظ به في مساجد الجماعات ، ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخوفهم ما يكون في البعث"[٢].

إن هذه البيوت هي أعظم البيوت في الأرض وأجلها وأعلاها ،وذلك لانتسابها إلى الله عز وجل فهي محل الأنوار الإلهية لما فيها من ذكر لله تعالى من صلاة وتلاوة لكتابه وتسبيحه واستغفاره،

فالمسلم حين يذهب إلى المسجد ليلقى الله ، فذلك نور ، ويصلى له فذلك نور ، فمن أراد أن يتعرض لنفحات نور الله عز وجل؛ فليكثر من الذهاب إلى بيوت الله ،ونعلم أن الصلاة هي الخلوة التي بين العبد وربه، لذلك أمر الله أن ترفع هذه البيوت ويذكر فيها اسمه عز وجل وأن تعمر بالطاعة والتقوى فقوله تعالى : { وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } "يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان،

---

[١] - المصدر السابق ،ج٩ ص١٥٧

[٢] - ابو حيان ، محمد بن يوسف، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود آخرون ،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، ج6 ص 421

وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين"[1]، وقد بين الله عز وجل أن هؤلاء الرجال لا تلهيهم عن الصلاة والذكر بيعٌ ولا تجارةٌ أو غيرها من الأسباب المشغلة من أمور الدنيا وخص سبحانه وتعالى التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات ،ذلك لتعلق قلبهم بالمساجد والصلاة والذكر ،لذلك جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلى ظله فقال:" ورجل قلبه معلق في المساجد"[2].

وإن هذه الصفات لا ينبغي التساهل فيها بحال، لأن ثناء الله على المتصف بها يدل على أن من أخل بها يستحق الذم الذي هو ضد الثناء، ويوضح ذلك أن الله نهى عن الإخلال بها نهيا جازما،[3]في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون:٩]

-وأما العلم: فكما لأهمية الذكر في تنقية القلب وتصفيته من نزغات الشياطين وتخليصه من أدران المادة ومن التعلق بالحياة الدنيا وأهوائها وشهواتها يأتي دور العلم في وضع المسلم على قاعدة صلبة ينطلق منها في بناء شخصيته الإسلامية السوية، فهو ركن أساسي له من الأهمية بمكان، بدليل كثرة ما أكد عليه القرآن وحث وحض عليه، بل جعل العلم والقراءة والتفكر والبحث في الكون أصل المعرفة التي تظهر النور الإلهي في الكون ،فمن أراد أن يبحث وأن يجد النور فعليه بالعلم ؛لأنه موصل إلى الله سبحانه وتعالى ومعرفة أنه واحد أحد قادر مقتدر، قال تعالى : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ }محمد١٩،وهو أيضا سبب للخوف من الله وخشيته قال الله تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء }[فاطر:٢٨] ،كما أن التقوى ومراقبة الله تعالى سبب موصل إلى العلم والنور قال : { وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ }[البقرة:٢٨٢]

والناظر في القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى هو منور السموات والأرض بالأنوار المادية والأنوار المعنوية التي تظهر في حقائق وبينات العلم الرباني المقدم للبشر في كل ما يحتاجه المسلم من أمور في حياته من علاقاته بالله وبنفسه وبالاخرين سطرها الله تعالى في كتابه العزيز،فالعلم نور يتحقق به للأفراد والمجتمعات بناء الأمجاد وتشييد الحضارات، كما ان العلم النافع مصدر الفضائل وينبوعها ؛ حتى يستطيع الإنسان أن يسير في حياته وفق النهج الإلهي الذي رضيه مولاه له سبحانه وتعالى ،وحتى ينعم في حياته ويسير فيها وهو مسترشد ومستنير للطريق،قال تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ }[محمد:١٤].

---

[1] - السعدي ،تيسير الكريم الرحمن ص ٥٦٩

[2] - رواه البخاري باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ،ج١ ص ٢٤٣ رقم الحديث ٦٢٩

[3] - الشنقيطي ،أضواء البيان ج٥ ص٥٣٩

كذلك هدي النبي صلى الله عليه وسلم هو نور للإنسان فهو تطبيق لمنهج القرآن، مكمل ومتمم لرسالته ،قال سبحانه: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[آل عمران:١٣٢].

كما أن الله سبحانه وتعالى بين أفضلية العلماء على غيرهم من الناس ،حتى يجتهد الإنسان في العلم قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }[المجادلة:١١]،وقال : { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }[الزمر:٩]،وفي ختام الآيات الكونية يختم الله سبحانه وتعالى هذه الآيات بأن ذكرها وتفصيلها لقوم يعلمون كقوله: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[يونس:٥]

فقوله {يفصل الآيات لقوم يعلمون} حتى يحرض الناس على العلم والبحث فيه وفي أسرار الكون ليصلوا إلى ما فيه الخير للبشرية ،فالله سبحانه وتعالى يبين هذه الآيات الكونية إضافة للآيات التنزيلية لإقامة الحجة والدليل على الناس الذين يسعون في العلم والتفكر لذلك قال : {لقوم يعلمون}، فخص هذه الآيات للذين يعلمون "ليستدلوا بذلك على شوؤن مبدعها -جل وعلا -،أو يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها، وتخصيص التفصيل بهم على الاحتمالية لأنهم المنتفعون به، والمراد لقوم عقلاء من ذوي العلم .[1]

فالمسلم يجتهد في تعلم العلوم وخاصة ما يتعلق بإيمانه وعبادته وحياته ،حتى يكون مبصرا لهذه الحياة ،موحدا لمولاه ،بعيدا عن الظلمات،لا تأخذه الخطوب ولا تبعده عن مولاه سبحانه وتعالى،" فمن آتاه سبحانه العلم والإيمان فقد أخرجه من هذه الظلمات التي طرأت عليه إلى النور الذي كان وصفاً لروحه وفطرته الأولى السليمة"[2].

فالعلم من الأسباب الأساسية لحياة الفرد ونور له في دنياه وآخرته، يسير جنبا إلى جنب مع كثرة الذكر لله سبحانه وتعالى ، حتى يكون النجاح له في الآخرة ويدخل جنات مولاه سبحانه وتعالى.

---

[1] - الآلوسي،روح المعاني ج١١ ص٧١

[2] - البقاعي ،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٧ ص ٤٧٧

المبحث الثاني:أسباب زوال النور

المطلب الأول : الوقوع في الظلم والظلمات

إن المؤمن الصادق مع الله تعالى في إيمانه وفي طاعته الملتزم بهدي النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعيداً عن الظلم وعن كل ما يحجبه عن النور؛ لأن نور الإيمان يحجبه ويمنعه عن الظلم والمعصية، وإلا فإن الوقوع في الظلم سبيل مؤكد للوقوع في الظلمات التي تحجب العبد عن النور.

والله سبحانه الذي خلق الإنسان وأعطاه الحرية في التفكير والعمل، مع إقامة الحجة عليه بإرساله الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومعهم من الرسالة والوحي، يختبره ويبتليه في هذه الحياة ، فإن كان من أهل الإيمان الصادقين لم يضع أعضاءه إلا فيما يرضي الله تعالى، وهذا نلحظه من الحديث القدسي ،يقول النبي صلى الله عليه وسلم :" وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"[1]

فصار نور الإيمان لا يدفعه إلا إلى ما يرضي الله عز وجل ،فيبقى على نور من الله سبحانه وتعالى وعنايته.

وأما من ابتعدوا عن نهج الله تعالى ، فصاروا في ظلم فوق ظلم، قال الله تعالى :{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ }[النور:٤٠]

فالله سبحانه وتعالى يشبه قلوب الذين لم يهتدوا بظلمات البحر لشدة سواد قلوبهم من الظلمات التي يجنونها على أنفسهم، وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار، فيقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار، في أنها عمِلت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها، وعلى غير هدى، مثَلُ ظلمات في بحر لجِّيّ.[2] واللجي : هو منسوب اللجة، وهو الذي لا يدرك قعره. واللجة معظم الماء[3]، وهو دلالة على عمق ماء هذا البحر .

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه ،باب التواضع ،ج ٥ ص ٢٣٨٥ حديث رقم: ٦١٣٧
[2] - الطبري ،جامع البيان ،ج١٩ ص١٩٧
[3] - القرطبي ،الجامع لإحكام القرآن ،ج١٢ ص٢٨٥

يقول الطبري:" عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشَّته الضلال والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجّي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه، فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه، فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض"[١].والمقصود من هذا التمثيل المبالغة في جهالة الكفار وعدم استفادتهم من رسالات الله تعالى .

قال أبيّ بن كعب : "الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة في النار".[٢]

وقد ختم الله تعالى الآية ببيان واضح للناس بأن شرح الصدر والنور لا يكونان إلا من عند الله تعالى ،ومن لم يشرح الله صدره للإيمان بقي في الظلمات يتخبط ،{ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ }[النور:٤٠]أي "من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه،{ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ }: يقول فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه"[٣].

فالنور الإلهي لا يكون إلا لمن وفقه الله لسعادة الدارين،وأنار قلبه بالإيمان، والذي لم يهتد بهذا النور وهذه الأكوان ،ويتفكر بما حوله حتى يصل إلى الله تعالى الواحد الأحد فقد خسر وضل عن طريق الله تعالى وعن نوره سبحانه وتعالى ،فالذي يبصر الحق فهو في طريق مستقيم وعلى نور من ربه ،والذي ضل عن طريق الله تعالى فهو أعمى عن الحق وظالم لنفسه ،قال الله تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ }[الرعد:١٦]

والظلمات تتعدد تبعا لتعدد الظلم، الذي يشمل ظلم النفس وظلم الغير ، وظلم النفس يكون بالمعاصي والذنوب، وظلم الغير بالاعتداء عليهم وتتبع عوراتهم وغيرها، فالظلم والشهوات والمعاصي سبب لزوال النور عن المؤمن، وكلما تكرر منه الظلم وغيرها من المخالفات زال من قلبه النور، وحل مكانه ظلمات القلب، من ذلك أن ينكت القلب بنكات سوداء،ولقد بين الله عز وجل ذلك فقال: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين:١٤] ، وبين معنى هذا الران الرسولُ المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : (إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء ،فإن تاب صقل منها ،فإن عاد زادت

---

[١] - الطبري ،جامع البيان ،ج١٩ ص١٩٧
[٢] - الخازن ، لباب التأويل، ج٥ ص٨٢
[٣] - الطبري ،جامع البيان،ج١٩ ص١٩٩س

حتى تعظم في قلبه ، فذلك الران الذي ذكره الله عز و جل: { كلا بل ران على قلوبهم }"[1]، والشرك بالله تعالى التابع لظلم الإنسان لنفسه هو من أعظم الظلم، ومن ثم النفاق والتكذيب.

أما الشرك :فقد بين الله تعالى شدة خطورته على النفس بقوله : {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }[لقمان:١٣]، ولقد جاء في الحديث أنه لما نزل قوله سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ }[الأنعام:٨٢]، فشق ذلك على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" إنه ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان :{ إن الشرك لظلم عظيم }.[2]

وأما النفاق والتكذيب :فقد جعله الله سبحانه وتعالى كذلك من أعظم الأسباب في الوقوع في الظلم، ومن ثم وما بعد الشرك من ظلم للنفس كالكفر، والكذب، والفسق، والغيبة، والنميمة، وغيرها، فتوابع تحجب قلب العبد عم ربه، وتزيده وقوعا في الظلمات، فهل يستوي من كان في الظلمات ومن كان في النور ،يقول الطبري:" هل تستوي الظلماتُ التي لا تُرَى فيها المحجة فتُسْلَك ،ولا يرى فيها السبيل فيُرْكَب، والنور الذي تبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظّلام؟ يقول: إن هذين لا شك لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه في حَيرة يضرب أبدًا في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفةٍ منه بأن له مثيبًا يثيبه على إحسانه ومعاقبًا يعاقبه على إساءته ورازقًا يرزقه ونافعًا ينفعه "[3].

فالله سبحانه وتعالى يضرب مقارنة بين أهل النور وأهل الظلمات ،بين المؤمن والكافر، بين الأعمى والبصير، بين الأحياء والأموات ليبين لنا سبل الحق والنجاة وطرق الوصول إلى نوره سبحانه وتعالى: { يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ }[النور:٣٥] ،يقول سبحانه وتعالى : {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ } [فاطر:١٩-٢١]

قال الرازي "لما بين الهدى والضلالة ولم يهتد الكافر، وهدى الله المؤمن ضرب لهم مثلاً بالبصير والأعمى ، فالمؤمن بصير حيث أبصر الطريق الواضح والكافر أعمى ... ثم إن البصير وإن كان حديد البصر ولكن لا يبصر شيئاً إن لم يكن في ضَوء ،فذكر للإيمان والكفر مثلاً ، وقال الإيمان نور والمؤمن بصير والبصير لا يخفى عليه النور ، والكفر ظلمة والكافر أعمى ،فله صاد فوق صاد ،

[1] - رواه الحاكم في مستدركه وصححه ،كتاب الإيمان ،ج١ ص٤٥ رقم الحديث :٦

[2] - رواه البخاري في صحيحه ، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة،ج٦ ص٢٥٣٥ ،رقم الحديث :٦٥٢٠

[3] - الطبري ،جامع البيان،ج١٦ ص٤٠٦

ثم ذكر لمآلهما ومرجعهما مثلاً وهو الظل والحرور ، فالمؤمن بإيمانه في ظل وراحة والكافر بكفره في حر وتعب ، ثم قال تعالى : { وَمَا يَسْتَوِي الأحياء وَلاَ الأموات } مثلاً آخر في حق المؤمن والكافر كأنه قال تعالى حال المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير ، فإن الأعمى يشارك البصير في إدراك ما . والكافر غير مدرك إدراكاً نافعاً فهو كالميت ويدل على ما ذكرنا أنه تعالى أعاد الفعل حيث قال أولاً : { وَمَا يَسْتَوِي الأعمى والبصير } وعطف الظلمات والنور والظل والحرور ، ثم أعاد الفعل ، وقال : { وَمَا يَسْتَوِي الأحياء وَلاَ الأموات } كأنه جعل هذا مقابلاً لذلك "[١].

من ذلك يتبين أن قوة الإيمان تجعل الإنسان في نور وفي ظل وفي حياة ،بعيداً عن الظلمات ،وفي المقابل الكافر يكون في ظلمات فوق ظلمات وفي الآخرة بالحر الشديد ومن الأموات ،كما أن المؤمن الصادق بالله تعالى يكون منصورا بالله تعالى على نفسه وعلى شهواته ومعاصيه ،وأما الظالم الكافر فيكون منقادا إلى الظلمات قال تعالى : {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة:٢٥٧]

"يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سُبُل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير، وأن الكافرين إنما وليهم الشياطين تزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات، ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك "[٢].

وعن مجاهد: أن الآية نزلت في قوم ارتدوا فلا شك في أنهم حينئذٍ أخرجوا من النور الذي كانوا فيه وهو نور الإيمان { إِلَى الظلمات } وهي ظلمات الكفر والانهماك في الغي وعدم الإرعواء والاهتداء.[٣]

فالظلمات سبب من أسباب زوال النور عن صاحبه وابتعاده عن ربه ،ووقوعه في الشهوات والمعاصي ،وبعده عن طاعة ربه سبحانه وتعالى ،فلا بد للإنسان العاقل أن يتق الله تعالى ،ويبتعد عن كل ظلمة تؤدي به إلى زوال نوره، حتى يكون في حفظ الله تعالى ونصره .

---

[١] - الرازي،مفاتيح الغيب،٢٦ ص١٥
[٢] -ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج١ ص٦٨٥
[٣] - الآلوسي، روح المعاني ،ج٣ ص١٥

المطلب الثاني: التكذيب، ومواجهة الحق، والنفاق

من أسباب زوال النور عند الإنسان والتي هي من أمراض القلوب، النفاق، والتكذيب، ومواجهة الحق.

وقد بعث الله سبحانه وتعالى رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم لتزكية الخلائق وتطهيرهم من أمراض القلوب، فقال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [الجمعة:٢]

كما بين سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم أنه مرسل للناس بشيرا ونذيرا ،وعليه أن يقتدي بالأنبياء السابقين عليهم السلام الذين تعرضوا للكذب والجدال والنفاق رغم ما كان معهم من الأدلة والبراهين وكتاب من عند الله منير فصبروا على دعوتهم، من أجل التسرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن قومه عليه الصلاة والسلام قد كذبوه واتهموه بالسحر والجنون ، قال تعالى: {فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ }[آل عمران:١٨٤] ، وقال:{وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ }[فاطر:٢٥] .

يقول الرازي في ذلك :" يعني أنت جئتهم بالبينة والكتاب فكذبوك وآذوك ،وغيرك أيضاً أتاهم بمثل ذلك وفعلوا بهم ما فعلوا بك ،وصبروا على ما كذبوا ،فكذلك نلزمهم بأن من تقدم من الرسل لم يعلم كونهم رسلاً إلا بالمعجزات البينات، وقد آتيناها محمداً صلى الله عليه وسلم ،{ وبالزبر وبالكتاب المنير } والكل آتيناها محمداً ، فهو رسول مثل الرسل يلزمهم قبوله كما لزم قبول موسى وعيسى عليهم السلام أجمعين"[1]

فهذا التكذيب، ولا شك أن الذي يقترب من الكتاب المنير يتنور قلبا وفكرا وسلوكا، وأما الذي يعرض ويبتعد ثم ينكر وينافق ويجادل ويكذب، فإنه يسلب نور الإيمان من قلبه، وسيأتي بيان ذلك .

-وأما الجدال، فقد قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ }[لقمان:٢٠]،

---

[1] - الرازي ،مفاتيح الغيب ،ج٢٦ ص١٧

يقول ابن كثير:" يقول تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة،... وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبَه والعلل، ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم، بل منهم من يجادل في الله، أي: في توحيده وإرسال الرسل. ومجادلته في ذلك بغير علم، ولا مستند من حجة صحيحة، ولا كتاب مأثور صحيح؛ ولهذا قال تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ } أي: مبين مضيء"[1].

وهذا إن دل على شيء، فهو كما قال القائل : "فاقد الشيء لا يعطيه " فلولا أنهم محرمون من النور الباطن في الصدور، والذي يكرمه الله تعالى لأهل الإيمان، فهؤلاء يجادلون في الله تعالى دون علم ولا حجة ولا استدلال من الوحي.

"والمراد بالعلم : العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى : { وَلاَ هُدًى } الاستدلال والنظر الصحيح الهادي إلى المعرفة { وَلاَ كتاب مُّنِيرٍ } وحي مظهر للحق أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة ولا ببرهان سمعي"[2].

- وأما مواجهة الحق، والصد عن دين الله تعالى، فصورة متقدمة للنفاق والتكذيب .

وإن من أسباب زوال النور مواجهة الحق، وعدم الخوف والخشية منه سبحانه وتعالى سبب في الوقوف أمام الحق ومواجهته ،ومحاربته ،ولو أنهم عرفوا الله تعالى وعرفوا قدره وعظموه لما تعرضوا للحق ولا لأصحابه ، لذلك نجد الله سبحانه وتعالى يصف لنا انحرافهم بأسلوب قرآني معجز و بليغ مفاده أنهم أناس ما قدروا الله حق قدره ،لأن الجهل غالب على عقولهم ،مستول على تصرفاتهم ،مغلق قلوبهم ،فهم خالون من الإيمان قال الله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ }[الأنعام:٩١]

أي ما أجلُّوا الله حق إجلاله، ولا عظموه حق تعظيمه.[3] ،حيث أنهم أنكروا إرساله الرسل ، وإنزاله الكتب، أولئك الذين كفروا وانحرفوا عن طريق الحق الإلهي ،وجحدوا القرآن الكريم رسالة السماء المنزل من لدن الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون تذكرة لهم قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }[البقرة:١٠١] ،قال الطبري :" فأخبر الله جل ثناؤه أن اليهود لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بتصديق ما في أيديهم من التوراة، أن محمدا صلى الله عليه

[1] - ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج٦ ص٣٤٧
[2] - الآلوسي ،روح المعاني ،ج١٧ ص١٢٢
[3] - الطبري ، جامع البيان ،ج١١ ص٥٢١

وسلم نبي لله،(نبذ فريق)، يعني بذلك: أنهم جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا به مقرين، حسدا منهم له وبغيا عليه"[١].وفي هذا دلالة على مواجهتهم لما أنزل الله من الحق.

ومواجهتهم للحق يعود إلى انطماس النور من القلب حتى أنهم وصلوا إلى مرحلة لم يعودوا يبصرون بها نور وهدي الإسلام، وصاروا يرونه أمرا مستغربا ؛لأنه لا يوافق أهواءهم وشهواتهم الظلمانية، فصاروا يحاربونه، بل ويريدون أن يطفئوه، كما قال تعالى : {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }[التوبة:٣٢]، فهم في محاولات في تكذيبهم بدين الله الذي ابتعثَ به رسوله صلى الله عليه وسلم، وصدِّهم الناسَ عنه بألسنتهم، أن يبطلوه، وهو النُّور الذي جعله الله لخلقه ضياءً، أي دلالته وحججه على توحيده. فجعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان. وقيل: المعنى نور الإسلام، أي أن يخمدوا دين الله بتكذيبهم.[٢] أي "إنهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة ، وأنواع كيدهم ومكرهم ، أرادوا إبطال هذه الدلائل ، فكان هذا جارياً مجرى من يريد إبطال نور الشمس بسبب أن ينفخ فيها ، وكما أن ذلك باطل وعمل ضائع ، فكذا ههنا"[٣].فمثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب ، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق ، يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الإشراق أو الإضاءة . ليطفئه بنفخة ويطمسه[٤]، فمواجهتهم للحق والدين والوحي ومحاربتهم له ضائع وباطل كالذي يريد أن يطفئ نور الشمس بفيه، ولكن دون أي نتيجة، وقد بين الله سبحانه وتعالى أنه متم لنوره،كما أنه وعد محمداً صلى الله عليه وسلم مزيد النصرة والقوة وإعلاء الدرجة وكمال الرتبة فقال : {وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }[التوبة:٣٢] يعني ويأبى الله أن يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون[٥]، الذين يعتقدون أنهم يستطيعون أن يُطفئوا نورَ الله سبحانه وتعالى، ويريدون أن يغيروا الحق ،ولكن جهودهم وأعمالهم في خسران وبطلان.

يقول سيد قطب:" وصدق وعد الله . أتم نوره في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ،فأقام الجماعة الإسلامية صورة حية واقعة من المنهج الإلهي المختار، صورة ذات معالم واضحة وحدود مرسومة ، تترسمها الأجيال لا نظرية في بطون الكتب ، ولكن حقيقة في عالم الواقع . وأتم نوره فأكمل للمسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام ديناً يحبونه، ويجاهدون في سبيله، ويرضى

[١] - المصدر السابق ،ج٢ ص٤٠٣
[٢] - الطبري، جامع البيان ،ج١٤ ص٢١٤ ،القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ،ج٨ ص١٢١
[٣] - الرازي ،مفاتيح الغيب ،ج١٦ ص٣٢
[٤] - الزمخشري ،الكشاف ،ج٢ ص٢٥٣
[٥] - الخازن، لباب التأويل، ج٣ ص٨٤

أحدهم أن يلقى في النار ولا يعود إلى الكفر . فتمت حقيقة الدين في القلوب وفي الأرض سواء . وما تزال هذه الحقيقة تنبعث بين الحين والحين . وتنبض وتنتفض قائمة على الرغم من كل ما جرد على الإسلام والمسلمين من حرب وكيد وتنكيل وتشريد وبطش شديد . لأن نور الله لا يمكن أن تطفئه الأفواه ، ولا أن تطمسه كذلك النار والحديد ، في أيدي العبيد"[1]

فصدق الإيمان بالله تعالى دلالة على معرفة الله ومراقبته والخوف منه وتعظيمه، فنور الله تعالى هو فوق كل شيء، وهو مؤيد محفوظ بحفظ الله تعالى له متمّ بإعانة الله تعالى وتوفيقه، { وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }[الصف:٨]

وهكذا يتبين لنا أن الابتعاد عن النور الإلهي، وعدم الاهتداء به، هو إنما لقصور شديد في الفهم والإدراك للإنسان الضال، وهو السبب في مواجهة الحق، وسبب للابتعاد عن طريق الحق والهدى، وزوال النور عن الإنسان.

ولا شك أن التكذيب وكثرة الجدال من صفات المنافقين، وقد ضرب الله عز وجل مثلا للمنافقين يبين حالهم كيف أنهم على معرفة للحق ولكنهم ينكرونه ويكذبونه بعد ما تبين لهم قال الله تعالى : {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ }[البقرة:١٧]

ضرب الله تعالى هذا المثل عن المنافقين ليبين نواياهم، وأنهم يبدلون الحق بالباطل، شبه حالهم بهيئة محسوسة، [2] شبَّههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى، بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتَأنَّس بها فبينما هو كذلك إذْ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى، واستحبابهم الغَيّ على الرّشَد [3].

---

[1] - سيد قطب ،في ظلال القرآن ،ج٧ ص١٩٧
[2] - ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج١ ص٣٠٢
[3] -ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم، ج١ ص١٨٦

كما أنه مَثَلُ استضاءة هؤلاء المنافقين في إظهارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بألسنتهم، من قولهم: آمنَّا بالله وباليوم الآخر، وصدَّقنا بمحمد وبما جاء به، وهم للكفر مستبطنون، فيما الله فاعل بهم مثل استضاءة موقِد نارٍ بناره، حتى أضاءت له النارُ ما حوله، يعني: ما حول المستوقِدِ [١].

وهذا التمثيل هو لكل زمان ومكان ،فالمنافقون كانوا زمن النبي صلى الله علبه وسلم ،وهم في كل زمان ومكان ،فهم يظهرون الإيمان للناس، وأنهم معهم ،لكنهم يتربصون بهم الدوائر، "وذلك أن ما يظهرونه من الإيمان الذي تثبتُ لهم به أحكام المسلمين من المناكح والتوارث والغنائم والأمن على أنفسهم وأولادهم وأموالهم ،بمثابة من أوقد نارا في ليلة مظلمة ،فاستضاء بها ورأى ما ينبغي أن يتقيه وأمن منه، فإذا طفئت عنه أو ذهبت وصل إليه الأذى وبقي متحيرا ".[٢]

كما أنهم يأتون يوم القيامة ولا نور لهم، فيطلبون من أهل الإيمان أن يقتبسوا من نورهم ،ولكن الله سبحانه وتعالى يأبى لهم ذلك، ويوضح لنا سبحانه وتعالى صورتهم يوم القيامة فيقول سبحانه وتعالى : {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ }[الحديد:١٣] "وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وأنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به ،وترك ما عنه زجر".[٣]

في ذلك اليوم الذي تتحول فيه الأعمال الصالحة من أنوار معنوية إلى أنوار مادية ،يعطى كل امرئ نورا على قدر إيمانه وصدقه مع الله تعالى ،وينطفئ نور المنافقين فيستصبحون بنور المؤمنين ، ولكن بسبب نفاقهم وظلمهم لا يحصلون على أي من ذلك النور.

قال ابن عباس رضي الله عنه : "بينما الناس في ظلمة، إذ بعث الله نورا، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلا من الله إلى الجنة؛ فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا، تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: انظرونا نقتبس من نوركم، فإنا كنا معكم في الدنيا؛ قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة، فالتمسوا هنالك النور".[٤]

---

[١] - الطبري ، جامع البيان، ج١ ص ٣٢٠
[٢] - القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن،ج١ ص٢١٣
[٣] - ابن كثير،تفسير القرآن العظيم ،ج٨ ص١٦
[٤] - الطبري،جامع البيان ،ج٢٣ ص١٨٢

وقد صور هذا الموقف سيد قطب فيقول:" إن هناك المنافقين والمنافقات ، في حيرة وضلال ، وفي مهانة وإهمال، وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات : { يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم } . . فحيثما تتوجه أنظار المؤمنين والمؤمنات يشع ذلك النور اللطيف الشفيف . ولكن أنى للمنافقين أن يقتبسوا من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في الظلام؟ إن صوتاً مجهلاً يناديهم : { قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً } . . ويبدو أنه صوت للتهكم ، والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام : ارجعوا وراءكم إلى الدنيا ، إلى ما كنتم تعملون ، ارجعوا فالنور يلتمس من هناك ،من العمل في الدنيا ، ارجعوا فليس اليوم يلتمس النور".[1]

فهذا الجزاء الذي أخبر الله تعالى عنه للمؤمنين والمنافقين : جزاء المؤمنين الذين عملوا بما أمرهم الله تعالى، فأعطاهم النور والجنة في الآخرة، وجزاء المنافقين الذين كذبوا على الله تعالى الظلمة وإدخالهم جهنم، ووصفهم بأنهم أصحابها .

وعليه فإن الإنسان الذي يتنور بنور الإيمان عليه أن يطهر نفسه من تلك الأمراض التي تكون سببا في زوال النور عنه، كما بين سعيد حوى ذلك إذ قال :"أول ما يجب أن ينصبَ عليه الإنسانُ في تطهير نفسه أن يطهرَ نفسه من الكفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ،وما يعتبر عَلماً على الكفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم من إنكار للمعلومات من الدين بالضرورة، أو من إتيان ناقض من نواقض الشهادتين، لأن الكفر ظلمات ،ولأنه لا ينفع معه عمل، ثم يطهر نفسه من النفاق،سواء كان نفاقاً نظريا أو عمليا، والنفاق النظري :أن يكون اعتقاده في حقيقة الإسلام يخالف ما أعلنه من إيمان بالإسلام ،والنفاق العملي :أن تكون له أخلاق المنافقين في موالاة الكافرين، أو في مودتهم،أو في ربط المصير معهم،أو إخلاف الوعد،أو في اعتياد الكذب، أو في الخيانة والغدر .ثم يطهر نفسه من الفسوق عن أمر الله تعالى، ومن مواقعة العصيان ،فلا يقارب المنهيات، ولا يخالف المأمورات،ويبتعد عن الفواحش ظاهرها وباطنها"[2]، وهكذا يتمم الله له النور في الدنيا والآخرة.

---

[1] - سيد قطب ،في ظلال القرآن ،ج٧ ص١٣١

[2] - حوى، سعيد،**المستخلص في تزكية الأنفس**،ط١٢،دار السلام ،مصر ٢٠٠٦ م،ص١٦٠

الفصل الثالث: **الآثار التربوية لآيات النور في حياة الإنسان**

المبحث الأول: في الولاية والتأييد من الله

المبحث الثاني: في الثبات على الصراط المستقيم

المبحث الثالث: في الإحياء القلبي وانشراح الصدر

المبحث الأول:في حصول الولاية والتأييد من اللّه

إن الذي هداه الله تعالى إلى نوره العظيم، المتمثل بالوحي الإلهي، المنزل على رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم ،فوافق لديه قلبا راضيا عن الله تعالى في كل ما حكم وشرع، لا شك يوافقه التأييد الإلهي، ويرافقه في كل شأن من شؤونه الدنيوية والأخروية، قال تعالى :{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة:٢٥٧]

فقوله سبحانه وتعالى: {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ } دلالة على ولايته سبحانه وتعالى للمؤمنين فهو ناصرهم ومعينهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه.[١] قال الخطابي:" الولي الناصر ينصر عباده المؤمنين.[٢]

وقيل : مُحبهم .وقيل : متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره .وقال الحسنُ : ولي هدايتهم .[٣] فهو يخرجهم من الظلمات إلى النور فقال: تعالى :{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ}،

وبين سبحانه وتعالى ثمرات هذا الولاية لهؤلاء المؤمنين بأنه يخرجهم من الظلمات إلى النور بقوله :{ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ}،وقد ذكر العلماء عدة أقوال في ذلك:

-فقيل : أي يخرجهم من ظلمات الشرك والكفر والضلالة والجهل والضياع إلى نور الإيمان والعلم والهداية والصراط المستقيم.

-وقال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع رضوانه سُبُل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي السهل المنير... لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه. فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين، ومبصرهم حقيقة الإيمان

---

[١] - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ج٥ ص٤٢٤
[٢] - القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن ،ج٣ ص٢٨٣
[٣] - ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب،ج٤ ص٣٣٣

وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم، فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك، بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر أبصار القلوب".[١]

-وقيل: يخرجهم إلى النور الذي يعم نور الإيمان ونور الإيقان بمراتبه ونور العيان أي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها إلى ما يقابلها من النور.[٢]

-وقيل :يخرجهم من ظلمات الكفر والجهل ، ومتابعة الهوى وقبول الوسواس ، والشبه المُشْكِلة في التوحيد إلى نور الإيمان واليقين ، وصحة التوحيد ، ومتابعة الداعي إلى الله.[٣]

وهذه الولاية سببها صدق الإيمان بالله تعالى والقيام بمقتضياته، فالإيمان سبب يوالي به المؤمنون ربهم بالطاعة، ويواليهم به الثواب والنصر والإعانة،[٤] ويدلُّ على هذا قوله عليه الصلاة والسلام : "إنَّه لا يَذلُّ من واليت" أي أنَّه منصورٌ عزيزٌ غالب بسبب توليك له، وفي هذا تنبيه على أنَّ مَن حَصَل له ذلٌّ في الناس فهو بنقصان ما فاته من تولي الله، وإلاَّ فمع الولاية الكاملة ينتفي الذُّلُّ كلُّه، ولو سلط عليه من في أقطار الأرض فهو العزيز غير الذليل.[٥]

من ذلك يتبين أن الله عز وجل يتفضل على من آمنوا به حق الإيمان بأن يجعل لهم نورا ،ويوفقهم ويهديهم به ويخرجهم من الظلمات على اختلافها إلى نور البرهان والحق الذي هو واحد لا يتعدد ،والذي فيه رضا الله عز وجل.

ثم بين سبحانه وتعالى حال أولئك الذين ابتعدوا عن نهج الله تعالى،وابتعدوا عن الإيمان به أنهم في ظلمات مستمرة وأن هذه الظلمات هي سبب في دخولهم النار وخلودهم فيها فقال : { وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }[البقرة:٢٥٧] "ولأجل هذا الازدياد المتجدد في الأمرين وقع التعبير بالمضارع في - يخرجهم – ويخرجونهم"[٦] .

فقوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ} هو بيان من الله سبحانه وتعالى للناس وهدىً حتى يتفكروا في الفرق ما بين الفريقين فيختاروا النافع لهم ،فريق ناصرهم الله عز وجل ،ومتولٍ

[١] - ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج١ ص٦٨٥
[٢] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ،ج١ ص٢٥٠
[٣] - ابن عجيبة، البحر المديد ،ج١ ص٣٣١
[٤] - الشنقيطي، أضواء البيان ،ج٣ ص٢٥٧
[٥] - ابن القيم، محمد بن أيوب الزرعي،**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق : محمد بدر الدين النعساني ،دار الفكر - بيروت ، ١٩٧٨م،ص١١١
[٦] - ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج٣ ص٣٠

أمرهم وحفظهم ،وقوم ناصرهم الطاغوت ومؤيدهم ،والفرق جلي بينهما ،فولاية الله سبحانه هي إخراج من الظلمات إلى النور وفيها انشراح للصدر ونور للقلب، وأما الطاغوت فيخرجهم من النور إلى الظلمات، وبه يضيق الصدر ويظلم القلب ،فما يرى إلى الظلمات.

قال الطبري: {والذين كفروا}، يعني الجاحدين وحدانيته {أولياؤهم}، يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم {الطاغوت} ، يعني الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله {يخرجونهم من النور إلى الظلمات} ....أي ظلمات الكفر وشكوكه، الحائلة دون أبصار القلوب رؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسبله...يحولون بينهم وبين الإيمان، ويضلونهم فيكفرون، فيكون تضليلهم إياهم حتى يكفروا إخراجا منهم لهم من الإيمان، يعني صدهم إياهم عنه، وحرمانهم إياهم خيره، وإن لم يكونوا كانوا فيه قبل، وبين ما كان يكون له لو لم يحرمه".[١]

وقد بين العلماء معنى قوله تعالى:{ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } إلى أن هذا الإخراج يكون إما بالارتداد عن الحق والنور والدين،أو الإغواء والإضلال عن نور الفطرة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم:" (كل مولود يولد على الفطرة)[٢] وعدم تقبله ،وقيل أنها في اليهود كما قال الخازن : "هم اليهود كانوا موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته".[٣] وقيل: "هو على العموم في حق جميع الكفار سميَّ منع الطاغوت إياهم عن الدخول فيه إخراجاً من الإيمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمهم خيره وإن لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لأبيه أخرجتني عن مالك إذا أوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام : { إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ }[يوسف:٣٧] ولم يكن قط في ملتهم.[٤].

وقد جمع القرطبي بين هذه الأقوال بقوله :"هو مترتب في كل أمة كافرة آمن بعضها كالعرب، وذلك أن من آمن منهم فالله وليه أخرجه من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، ومن كفر بعد وجود النبي صلى الله عليه وسلم الداعي المرسل فشيطانه مغويه، كأنه أخرجه من الإيمان إذ هو معه معد وأهل للدخول فيه، وحكم عليهم بالدخول في النار لكفرهم؛ عدلا منه، لا يسأل عما يفعل".[٥].

---

[١] - الطبري ، جامع البيان ،ج٥ ص ٤٢٥-٤٢٧

[٢] - رواه البخاري في صحيحه ،باب باب ما قيل في أولاد المشركين،ج ١ ص٤٦٥ ،رقم الحديث : ١٣١٩

[٣] - الخازن ، لباب التأويل، ج١ ص٢٨٢

[٤] - المصدر السابق، ج١ ص٢٨٢

[٥] - القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، ج٣ ص٢٨٣

ثم بين سبحانه وتعالى جزاء أولئك الذين كفروا بأنهم أصحاب النار خالدين فيها بسبب طغيانهم وعنادهم وكفرهم فقال: {أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}.

من هنا يتبين أن ولاية الله تعالى لعباده الصادقين المخلصين المتقيين، تتمثل بنصر منه سبحانه وتعالى لهم، ماداموا على هذه الحالة التي وصفهم الله بها ،فهم على نور من الله سبحانه وتعالى يستشعرونه دائما معهم بالمراقبة والذكر والعبادات ،فيبقى هذا القلب ملئ بنور الله تعالى بعيد عن نوازع الشياطين.

لهذا جمع الله سبحانه وتعالى لفظ الظلمات ووحد لفظ النور ،حتى يبين لعباده أن طرق الظلمات متعددة مختلفة ،وطرق النور واحدة لا تعدد لها ،ومصدرها واحد وهي من عند الله تعالى،قال سبحانه وتعالى : {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[الأنعام:١٥٣]

المبحث الثاني: في الثبات على الصراط المستقيم

إن من الآثار الإيجابية للنور في حياة المسلم تثبيت الله تعالى له على الصراط المستقيم، وهو دين الإسلام الموصل إلى الله تعالى،وذلك بشرط اتباع الرسول، والتمسك بحبل الله المتين، قال الله تعالى في معرض دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ{١٥} يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[المائدة:١٥-١٦]

فهذه الآية تبين أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور ويدلهم ويهديهم إلى الصراط المستقيم ،" و {الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} استعارة للكفر والإيمان، لأن الكفر يجعل صاحبه في حيرة فهو كالظلمة في ذلك، والإيمان يرشد إلى الحق فهو كالنور في إيضاح السبيل. وقد يستخلص السامع من ذلك تمثيل حال المنغمس في الكفر بالمتحير في ظلمة، وحال انتقاله إلى الإيمان بحال الخارج من ظلمة إلى مكان نير"[١].

وبعثته صلى الله عليه وسلم للناس من أجل أن يهديهم إلى الصراط المستقيم ،قال الطبري :""ويهديهم"، ويرشدهم ويسددهم "إلى صراط مستقيم"، يقول: إلى طريق مستقيم، وهو دين الله القويم الذي لا اعوجاج فيه"[٢]

وقال ابن كثير :" ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة"[٣].

وقال أبو السعود :" يهديهم إلى صراط مستقيم هو اقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤدي إليه لا محالة ،وهذه الهداية عين الهداية إلى سبل السلام".[٤]

فمن هذه الأقوال يتبين أن الصراط المستقيم هو الذي فيه النجاة والنجاح في الدنيا والآخرة ،ولا يكون ذلك إلا بسلوك الطرق التي تقرب العبد من ربه الذي خلقه وصوره ألا وهو دين الله سبحانه وتعالى.

---

[١] - ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج١٣ ص ١٨٠
[٢] - الطبري ،جامع البيان ،ج١٠ ص١٤٦
[٣] - ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ج٣ ص ٦٨
[٤] - ابو السعود ، إرشاد العقل السليم ،ج٣ ص١٩

كما بين الله عز وجل في آية أخرى أنه أنزل القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذنه إلى صراطه سبحانه وتعالى، هذا الكتاب الذي نزل نورا ومعجزة خالدة إلى يوم القيامة، لا يعرفه ولا يتذوق أسراره إلى من هداه الله تعالى إليه ووفقه لأن يكون من العلماء الذين يقرءونه فيتدبرون ما فيه من الأسرار والعلوم الإلهية ، فيهتدون به ، قال الله تعالى في علماء أهل الكتاب الذين كانوا يسمعون كلام الله عز وجل: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }[سبأ:٦]، يقول سيد قطب :" ومجال الآية أكبر وأشمل، فالذين أوتوا العلم في أي زمان وفي أي مكان ، من أي جيل ومن أي قبيل ، يرون هذا متى صح علمهم واستقام ، واستحق أن يوصف بأنه { العلم }، والقرآن كتاب مفتوح للأجيال، وفيه من الحق ما يكشف عن نفسه لكل ذي علم صحيح . وهو يكشف عن الحق المستكن في كيان هذا الوجود كله . وهو أصدق ترجمة وصفية لهذا الوجود وما فيه من حق أصيل"[١]

قال : { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }[إبراهيم:١]

يبين الله عز وجل أنه أنزل الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك والتيه والضياع والمعاصي والشهوات والجهل إلى نور الإيمان والعلم والذكر والطاعة والعبادة بتوفيقه وعنايته وإرادته وبإذنه سبحانه وتعالى،يقول الآلوسي :" والأذن: الأمر بفعل يتوقف على رضا الآمر به، وهو أمر الله إياه بإرساله إليهم ؛لأنه هو الإذن الذي يتعلق بجميع الناس، كقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ }[النساء:٦٤]. ولما كان الإرسال لمصلحتهم أضيف الإذن إلى وصف الرب المضاف إلى ضمير الناس، أي بإذن الذي يدبر مصالحهم".[٢]

ويبين العلماء وعلى رأسهم سيد قطب أن من هداه الله تعالى إلى نوره المتمثل بضرع الله تعالى وهو صراط الله العزيز الحميد، يصح منهج تفكيره وسلوكه، إذ قال :" {ويهدي إلى صراط العزيز الحميد} بتصحيح منهج التفكير ، وإقامته على أسس سليمة ، متفقة مع الإيقاعات الكونية على الفطرة البشرية؛ بحيث يؤدي هذا المنهج بالفكر البشري إلى إدراك طبيعة هذا الكون وخواصه وقوانينه ، والاستعانة بها ، والتجاوب معها بلا عداء ولا اصطدام ولا تعويق .

ويهدي إلى صراط العزيز الحميد بمنهجه التربوي الذي يعد الفرد للتجاوب والتناسق مع الجماعة البشرية . ويعد الجماعة البشرية للتجاوب والتناسق أفراداً وجماعات مع مجموعة الخلائق

---

[١] - المصدر السابق ،ج٦ ص١١٠

[٢] - ابن عاشور،التحرير والتنوير،ج١٣ ص١٨١

التي تعمر هذا الكون، ويعد هذه الخلائق كلها للتجاوب والتناسق مع طبيعة الكون الذي تعيش فيه . . كل ذلك في بساطة ويسر ولين .

ويهدي إلى صراط العزيز الحميد بما فيه من نظم وتشريعات مستقيمة مع فطرة الإنسان وظروف حياته ومعاشه الأصيلة ، متناسقة مع القوانين الكلية التي تحكم بقية الأحياء ، وسائر الخلائق؛ فلا يشذ عنها الإنسان بنظمه وتشريعاته . وهو أمة من هذه الأمم في نطاق هذا الكون الكبير ".[١]

فسلوك الطريق الذي رضيه الله لعباده خير نور في طريق الإنسان المؤمن ،فالذي يمشي في طريق لابد له من علم وهداية به حتى يستطيع أن يجتازه ،كذلك دين الله عز وجل يحتاج من العبد أن يستنير من ذلك الوحي حتى يكون على هدى من الله سبحانه وتعالى خالقه ،قال الله تعالى : {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[الملك:٢٢]

وهكذا تبين أن الاستقامة على نهج الله تعالى لها ارتباط وثيق بالنور الناشئ عن الإيمان بالله تعالى والإلتزام بنهجه سبحانه وتعالى ،فالمؤمن الصادق يكون وثيق الصلة بالله تعالى قوي الإيمان به ،لا تحركه الشهوات أو نزغات الشيطان إلى معصية الله تعالى ؛لأن نور الإيمان قد وقاه منها،فيبقى محافظا على إيمانه سائرا في الصراط المستقيم .

[١] - سيد قطب ،في ظلال القرآن ،ج٦ ص١١٠ -١١١

المبحث الثالث: في الإحياء القلبي وانشراح الصدر

إن من أثار النور على الإنسان أن يحيا قلبه، وينشرح صدره، ولا يكون ذلك إلا بإتباع ما أمر الله به من الوحي والنور الصالح لكل زمان ومكان، والذي فيه بيان لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته الدينية والعملية والاجتماعية، والذي فيه حياة القلوب والأبدان، فالروح فيها حياة الأبدان ،ووحي الله تعالى فيه حياة القلوب، فهم يستنيرون به، ويخرجون به من الظلمات إلى النور، وقد سمّى الله عز وجل ذلك الوحي روحا فقال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً}[الشورى:٥٢] ،وفي ذلك إشارة إلى أنه لا حياة ولا سكينة ولا طمأنينة إلى بهذا الوحي الإلهي الذي وصفه بالنور، فهذا الوحي هو نور من الله سبحانه وتعالى خالق البشرية، وكل من سار على نهج هذا النور من الإيمان والعمل والاعتقاد فقد أحياه الله عز وجل وشرح صدره، وجعله في سكينة وطمأنينة، فيعكس ذلك المسلم عقيدة الإسلام ورسالته على المجتمع.
وهذا ما بينه سيد قطب إذ قال:" إن هذه العقيدة تُنشئ في القلب حياة بعد الموت ، وتطلق فيه نوراً بعد الظلمات . حياة يعيد بها تذوق كل شيء ، وتصور كل شيء ، وتقدير كل شيء بحس آخر لم يكن يعرفه قبل هذه الحياة ".[1]

والله عز وجل يذكر مثلاً يدل على حال المؤمن المهتدي، وعلى حال الكافر الضال ، فيبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتاً ، فجعله حياً بعد ذلك وأعطاه نوراً يهتدي به في مصالحه ، وأما الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها ، فيكون متحيراً على الدوام .[2]

قال الله تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[الأنعام:١٢٢].

فالكلام جار على طريقة تمثيل حال من أسلم وتخلص من الشرك بحال من كان ميتا فأحيي، وتمثيل حال من هو باق في الشرك بحال ميت باق في قبره.

وهذه الآية تبين الفرق بين قسمين بأسلوب الاستفهام، قسم على نور من الله، فهو حي بذلك ،وقسم غارق في الظلمات، لا يستطيع أن يخرج منها، يقول أبن عاشور :" الهمزة للاستفهام المستعمل

[1] - سيد قطب ،في ظلال القرآن،ج٣ ص١٣٧
[2]- ابن عاشور ، التحرير والتنوير،ج٨ ص٤٤

في إنكار تماثل الحالتين: فالحالة الأولى حالة الذين أسلموا بعد أن كانوا مشركين، وهي المشبهة بحال من كان ميتا مودعا في ظلمات فصار حيا في نور واضح، وسار في الطريق الموصلة للمطلوب بين الناس. والحالة الثانية حالة المشرك وهي المشبهة بحالة من هو في الظلمات ليس بخارج منها، لأنه في ظلمات".[١]

فهي مقارنة بين صنفين صنف أبصر طريق الهداية والحق والصواب ،وقسم لم ير الحق ولا طريق النجاة والفلاح قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ} [الرعد: ١٦].

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في رجلين أحدهما مؤمن، والآخر كافر، فقال بعضهم: أما الذي كان مَيْتًا فأحياه الله، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها، فأبو جهل بن هشام .

وقال آخرون: بل الميت الذي أحياه الله عمار بن ياسر -رضي الله عنه-. وأما الذي مثله في الظلمات ليس بخارج منها، فأبو جهل بن هشام .[٢]

والراجح عند جمهور المفسرين أن هذه الآية عامة في حق جميع المؤمنين والكافرين .

يقول تعالى: { أَوَمَنْ كَانَ } من قبل هداية الله له { مَيْتًا } في ظلمات الكفر،والجهل، والمعاصي، { فَأَحْيَيْنَاهُ } بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصرا في أموره، مهتديا لسبيله، عارفا للخير مؤثرا له، مجتهدا في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفا بالشر مبغضا له، مجتهدا فيتركه وإزالته عن نفسه وعن غيره.[٣]

فالمؤمن بالله تعالى، الصادق في إيمانه، الذي يكون على نور من ربه، هو حي بهذا الروح الإلهي، المتمثل بالقرآن الكريم، وبهدي النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فيقوم الإنسان على شرع الله تعالى بالخير والصلاح والطاعة، وكل ما يرضي مولاه عز وجل، فقلب المؤمن حي بالله تعالى يستشعر مراقبة الله عليه في السر والعلن ،كما يستشعر معية الله له في كل وقت ولحظة ، ويكون كثير الذكر لله تعالى،فيكون شغله الشاغل هو رضا الله تعالى، فيبقى حيا بالله تعالى.

---

[١] - ابن عاشور ،التحرير والتنوير ، ج٨ ص٤٣

[٢] - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ،ج١٢ ص٨٩-٩٠

[٣] - السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ،ص٢٧١

يقول سيد قطب: "كذلك كان المسلمون قبل هذا الدين . قبل أن ينفخ الإيمان في أرواحهم فيحييها ، ويطلق فيها هذه الطاقة الضخمة من الحيوية والحركة والتطلع والاستشراف . . كانت قلوبهم مواتا . وكانت أرواحهم ظلاما . . ثم إذا قلوبهم ينضح عليها الإيمان فتهتز ، وإذا أرواحهم يشرق فيها النور فتضيء ، ويفيض منها النور فتمشي به في الناس تهدي الضال ، وتلتقط الشارد ، وتطمئن الخائف ، وتحرر المستعبد ، وتكشف معالم الطريق للبشر وتعلن في الأرض ميلاد الإنسان الجديد ، الإنسان المتحرر المستنير الذي خرج بعبوديته لله وحده من عبودية العبيد".[١]

فالإنسان دون إيمان صحيح، ودون منهج يسير عليه، يتخبط كالتائه لا يعرف ماذا يفعل، لا يستطيع التمييز بين الحق والباطل ،وبالإيمان وبالنور يصل ويهتدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، فتشبيه الله تعالى الإنسان الذي يهتدي إلى طريق الحق بالميت الذي أحياه الله تعالى ؛لأنه أصبح حاملا للإيمان به سبحانه وتعالى .

لذلك نرى ابن عاشور يوضح هذا التشبيه، وبما فيه من بيان أثر ذلك الإحياء في ضبط سلوك الفرد إلى ما فيه الخير، فيقول :"ولقد جاء التشبيه بديعا: إذ جعل حال المسلم، بعد أن صار إلى الإسلام، بحال من كان عديم الخير، عديم الإفادة كالميت، فإن الشرك يحول دون التمييز بين الحق والباطل، ويصرف صاحبه عن السعي إلى ما فيه خيره ونجاته، وهو في ظلمة لو أفاق لم يعرف أين ينصرف، فإذا هداه الله إلى الإسلام تغير حاله فصار يميز بين الحق والباطل، ويعلم الصالح من الفاسد، فصار كالحي وصار يسعى إلى ما فيه الصلاح، ويتنكب عن سبيل الفساد، فصار في نور يمشي به في الناس. وقد تبين بهذا التمثيل تفضيل أهل استقامة العقول على أضدادهم".[٢]

ومن اهتدى بهدي الله تعالى، وأصبح في حياة، انشرح صدره للإسلام، واطمئن قلبه لمعرفة ربه، وانقاد لطاعته، وأصبح على نور وبصيرة من الله عز وجل، كما بين سبحانه وتعالى أن الذي أحياه الله تعالى من موت الكفر والشرك والغفلة والجهل والشهوات، هو الذي شرح الله سبحانه وتعالى صدره، وجعله على نور منه سبحانه وتعالى، وأما الذي لم يهتد إلى الحق والهدى فهو ميت ضيق الصدر ،ولا ينفتح قلبه إلا إذا شرح الله صدره، ونور قلبه.

قال عز من قائل : {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }[الزمر:٢٢]، فالذي شرح الله صدره للإيمان فهو على نور منه يستنير به في حياته ويمشي به بين الناس وقلبه حي بالله تعالى.

---

[١] - سيد قطب ،في ظلال القرآن،ج٣ ص١٣٩

[٢] - ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج٨ ص٤٥

يقول الطبري:" أفمن فسح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته { فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ } يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحق في قلبه، فهو لذلك لأمرِ الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيقه عن استماع الحق واتباع الهدى والعمل بالصواب"[١].

وكان من دعاء سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام أن يشرح الله صدره :{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي }[طه:٢٥]، وهو الذي قد اختاره سبحانه وتعالى لرسالته يسأل ربه عز وجل أن يشرح قلبه ،وفي ذلك إشارة ودعوة وتوجيه من الله سبحانه وتعالى لعباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء والتضرع والخشية والاستغفار وطلب شرح الصدر منه سبحانه وتعالى حتى ينور بصائرهم ويشرح صدورهم بصدق الإيمان به والإخلاص بطاعته وصدق التوكل عليه سبحانه وتعالى.

يقول ابن عاشور :"وإن من رشاقة ألفاظ القرآن إيثار كلمة {شَرَحَ} للدلالة على قبول الإسلام ؛ لأن تعاليم الإسلام وأخلاقه وآدابه تكسب المسلم فرحاً بحاله ،ومسرة برضا ربه ،واستخفافا للمصائب والكوارث ؛ لجزمه بأنه على حق في أمره ،وأنه مثاب على ضره ،وأنه راج رحمة ربه في الدنيا والآخرة، ولعدم مخالطة الشك والحيرة ضميره".[٢]

وهذا لا يكون إلا لمن أنار الله قلبه ، وجعله يسير على نور منه سبحانه وتعالى، فيرضى هذا العبد عن الله تعالى بكل ما يقدره له ، فقلبه منشرح مطمئن بالله تعالى،لذلك قال تعالى عن هذا المؤمن : { فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ } ،والنور مستعار للهدى ووضوح الحق؛ لأن النور به تنجلي الأشياء ،ويخرج المبصر من غياهب الضلالة وتردد اللبس بين الحقائق والأشباح.

وأي نور موصوف بأنه جاء به من عند الله فهو نور كامل لا تخالطه ظلمة،وهو النور الذي أضيف إلى اسم الله في قوله: {يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} [النور:٣٥].[٣]

فنور القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والوحي كلها من عند الله تعالى ،وهي دالة على هداية الله تعالى،فالمؤمن يبصر الحق ويسير عليه.

"فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جنة

---

[١] - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ،ج٢١ ص٢٧٧
[٢] - ابن عاشور ،التحرير والتنوير ،ج٢٣ ص٣٨٠
[٣] - المصدر السابق ،ج٢٣ ص٣٨١

الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قوة عين المحبين وحياة العارفين وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز و جل فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات".[١]

من ذلك يتبين أن الراحة القلبية والنفسية وانشراح الصدر للعبد لا يكون إلا بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، والالتزام بنوره وهديه والاستقامة على نهجه،والانضباط بشرعه سبحانه وتعالى؛ حتى يكون على نور في حياته وآخرته .

[١] - ابن القيم ،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض ،الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥م، ص٦٧

الخاتمة

وبعد هذا السير في درب النور في القرآن الكريم، أسطر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة :

١. أن للفظة النور دلالات واسعة، ومعان مختلفة ،فهو يأتي بمعنى الضياء ،والهداية، والتوضيح، والبيان ،أي تتراوح معانيه بين المدلولات الحسية والمعنوية.

٢. إن مصادر النور في القرآن الكريم متعددة، تدور حول محاور أربعة، أولها : النور الإلهي، ثانيها : القرآن الكريم، ثالثها :الرسول صلى الله عليه وسلم المتمثل في هديه، ومع هذا فإن النور في القرآن الكريم إذا أطلق فالمراد به نور الحق تعالى ، وإذا قيد فبحسب ما قيد به.

٣. ضرب الله سبحانه وتعالى للنور أمثال عدة في القرآن الكريم، كما في سورة النور.

٤. إذا قارن القرآن الكريم بين الظلمة والنور، فإنه يوحد النور ويعدد الظلمات، إشارة إلى وحدة المصدر، وتعدد مصادر الظلمات.

٥. إن للنور وزواله أسباب متعددة، فالإيمان والتقوى والذكر والعلم والتوبة من أسباب تحقق النور في حياة الإنسان، وأما الوقوع في الظلم والظلمات والتكذيب ومواجهة الحق والنفاق فهي من أسباب زوال النور.

٦. إن المقترب من النور الإلهي المتمثل بالقرآن الكريم وهدي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشرق النور في قلبه من الله تعالى، ويسعى من بين يديه ومن خلفه يوم القيامة، وعكس ذلك بالنسبة للكافر والمعرض عن ذكر الله تعالى.

٧. إن من الآثار التربوية للنور في حياة المسلم الولاية والتأييد من الله عز وجل، والثبات على الصراط المستقيم، والإحياء القلبي وانشراح الصدر.

٨. إن آيات النور في القرآن الكريم تنعكس على رسالة الإسلام عقيدة وشريعة، فإن مصدر رسالة الإسلام هو النور الإلهي الذي تمثل في القرآن الكريم، وبهدي الرسول

الكريم صلى الله عليه وسلم اللذين وضحا حقائق وبينات وأحكام الدين لكل ناهل من هذا المعين الذي لا ينضب ولا ينتهي خيره ونوره إلى يوم الدين.

التوصيات:

بعد الدراسة الاستقرائية لموضوع النور في القرآن الكريم أوصي بـ:

١. الانتباه من قبل أبناء الأمة الإسلامية إلى عظيم مدلول النور، وآثاره الطيبة في حياة الفرد والأمة لتحيا حياة سعيدة في كافة الشؤون والمجالات، ومن ذلك الإهتمام بالدراسات العملية التطبيقية لسلوك الفرد والأسرة والمجتمع وفق منهج النور الإلهي مقارنة مع غيرهم ممن لم يلتزم ذلك النور إن كان إنسانا أو أسرة أو مجتمعا،وآثار كل منها على أرض الواقع.

٢. عمل مقارنة بين إيجابيات النور المستمد من المنهج الإسلامي، وسلبيات الظلمات المستوردة من التشريعات الوضعية من حيث الآثار المترتبة على كل منهما حتى يعرف الناس قيمة شأن الحق؛ فيقيموا حياتهم على أسسه وقواعد.

قائمة المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

٢. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد(ت:٧٩٥هـ)، **جامع العلوم والحكم** ،الطبعة الأولى،دار المعرفة – بيروت ١٤٠٨ هـ

٣. ابن عادل، عمر بن علي ، **اللباب في علوم الكتاب** ، تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م

٤. ابن عاشور ،محمد الطاهر(ت: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م

٥. ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي(ت:١٢٢٤هـ)، **البحر المديد**، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ٢٠٠٢ م

٦. ابن فارس،احمد بن فارس بن زكريا(ت: ٣٩٥ هـ)، **معجم مقاييس اللغة**،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،بيروت،١٩٧٩م

٧. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت:٧٥١هـ)، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

٨. ابن القيم ،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت:٧٥١هـ)، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض ،الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥م

٩. ابن القيم، محمد بن أيوب الزرعي (ت:٧٥١هـ)،**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق : محمد بدر الدين النعساني ،دار الفكر - بيروت ، ١٩٧٨م

١٠. ابن كثير ،اسماعيل القرشي(ت:٧٧٤هـ)،**تفسير القران الكريم**،مكتبة دار الفيحاء ،دمشق،ط٢، ١٩٩٨م

١١. ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور(ت: ٧١١ هـ)،**لسان العرب**،الطبعة الأولى، دار صادر،بيروت،٢٠٠٠م

١٢. ابن هاديه،علي،وأخرون ،**القاموس الجديد للطلاب**، تقديم محمود المسعدي،الطبعة الثالثة ،الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨٢ م

١٣. ابن هشام،عبد الله بن يوسف الأنصاري(ت: ٧٦١ هـ) ،**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، تحقيق : د.مازن المبارك وآخرون ،دار الفكر ، بيروت،ط٦ ، ١٩٨٥م

١٤. أبو حيان ، محمد بن يوسف(ت: ٧٤٥هـ)، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود آخرون ،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

١٥. أبو السعود،محمد بن محمد العمادي(ت: ٩٨٢هـ)، **ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت

١٦. إسكندر،نجيب،**معجم المعاني للمترادفات والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير** ،الأفاق العربية، القاهره ، ط١ ، ٢٠٠١م

١٧. الأصفهاني،الحسين بن محمد(ت: ٥٠٢ هـ)،**المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد الكيلاني مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، الطبعة الأخيرة، ١٩٦١م

١٨. الآلوسي، محمود شكري(ت: ١٣٤٢ هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان

١٩. البخاري، محمد بن إسماعيل ،الجامع الصحيح المختصر، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ،دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ،١٩٨٧م

٢٠. البخاري، محمد بن إسماعيل ،**الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ،دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ،١٩٨٧م

٢١. البقاعي، إبراهيم بن عمر(ت: ٨٨٥ هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي،دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م

٢٢. البوصيري،شرف الدين ،**البردة ونهج البردة في مدح الرسول الأعظم** ،مطابع وزارة الأوقاف والشوؤن والمقدسات الإسلامية،١٤٠٧هـ

٢٣. البيضاوي،عبد الله بن عمر الشيرازي،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**

٢٤. الجرجاني،الشريف علي بن محمد(ت: ٨١٦ هـ)،**التعريفات**،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٣ ،١٩٨٨م

٢٥. الجصاص ،أحمد بن علي الرازي(ت: ٣٧٠هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،١٤٠٥هـ

٢٦. الجمل،سليمان بن عمر العجيلي(ت:١٢٠٤هـ)،**الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

٢٧. حبنكة، عبد الرحمن حسن ،**العقيدة الإسلامية وأسسها**،الطبعة الثانية عشر ،دار القلم ،دمشق ،٢٠٠٤م

٢٨. حجازي،محمد محمود،**التفسير الواضح**، الطبعة الخامسة،مطبعة الإستقلال الكبرى،١٩٦٤ م

٢٩. الحراني، ابن تيمية، **تفسير سورة النور**، الدار السلفية، بومباي

٣٠. الحفني،عبد المنعم، **تجليات في أسماء الله الحسنى**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م

٣١. حقي ،اسماعيل حقي(ت:١١٣٧هـ)، **تفسير روح البيان** ،دار الفكر

٣٢. حوى ،سعيد،**المستخلص في تزكية الأنفس**،ط١٢،دار السلام ،مصر ٢٠٠٦ م

٣٣. حوى ،سعيد،**الأساس في التفسير** ،الطبعة الأولى ،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع٠ القاهرة ١٩٨٥م

٣٤. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي(ت: ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**،دار الفكر - بيروت / لبنان ١٩٧٩م

٣٥. الخن ،مصطفى سعيد ، وآخرون،**العقيدة الإسلامية** ،دار الكلم الطيب،بيروت ، الطبعة الثالثة ،١٩٩٩م

٣٦. الدغامين ،زياد خليل، منهجية البحث في التفسير الموضوعي في القرآن الكريم ،دار البشير، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م

٣٧. الدوري،قحطان عبد الرحمن ،**العقيدة الإسلامية ومذاهبها**،دار العلوم، الأردن ،الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م

٣٨. الدوري،قحطان،وآخرون،**أصول الدين الإسلامي** ،الطبعة الأولى ،دار الفكر ،١٩٩٦م ،عمان

٣٩. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الحسيني بن الحسن بن علي التميمي البكري**(ت: ٦٠٦هـ)**، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، دار الكتب العلمية

٤٠. الزبيدي ،محمد مرتضى(ت: ١٢٠٥ هـ)،**تاج العروس من جواهر القاموس**، دار صادر،بيروت

٤١. الزرقاني،محمد عبد العظيم،**مناهل العرفان في علوم القرآن**،دار الفكر

٤٢. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الفكر

٤٣. الساموك،سعدون محمود ،**العقائد الإسلامية** ،دار وائل للنشر الأردن،الطبعة الأولى ٢٠٠٤

٤٤. السجستاني،جعفر ، **مفاهيم القرآن**، الطبعة الأولى ،دار الأضواء ، بيروت، ١٩٩٢ م

٤٥. السعدي،عبد الرحمن بن ناصر،**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**،جمعية احياء التراث الإسلامي ، الكويت، ٢٠٠٤ م

٤٦. السمعاني، منصور بن محمد،**تفسير السمعاني**، تحقيق :ياسر بن إبراهيم وآخرون، دار الوطن – الرياض، ١٩٩٧م

٤٧. السمين الحلبي، احمد بن يوسف (ت: ٧٥٦ هـ) ،**عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ**،تحقيق محمد باسل عيون السود، ،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية

٤٨. السيوطي،عبد الرحمن جلال الدين(ت: ٩١١ هـ)،**الدر المنثور في التفسير المأثور** ،الطبعة الخامسة ، دار الفكر

٤٩. الشعراوي ،**تفسير الشعراوي**، مجمع البحوث الإسلامية، الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة١٩٩١م

٥٠. الشلول ،زكريا إبراهيم ،**أثر العقيدة الإسلامية في السلوك الإنساني**،دار الكتاب الثقافي،الأردن،٢٠٠٥م

٥١. الشنقيطي ،محمد الامين بن محمد المختار (ت: ١٣٩٣هـ)، **اضواء البيان في ايضاح القران بالقران** ،مطبعة المدني،مصر

٥٢. الشوكاني، محمد بن علي (ت: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر

٥٣. الصابوني، محمد علي ،**صفوة التفاسير**،الطبعة الرابعة،دار القرآن الكريم ،بيروت ١٩٨١م

٥٤. الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تفسير آي القرآن**، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ،مؤسسة الرسالة ،٢٠٠٠ م

٥٥. الغزالي ،أبو حامد(ت: ٥٠٥ هـ)، **مشكاة الأنوار** ،تحقيق الدكتور أبو العلا عفيفي،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة ١٩٦٤ م

٥٦. الغزالي،ابو حامد(ت: ٥٠٥ هـ)،**المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**،تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة دار القرآن،القاهرة

٥٧. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**،القاهرة

٥٨. الفيروز آبادي،مجد الدين،**القاموس المحيط** ،الطبعة الرابعة ،دار المأمون،١٩٣٨م

٥٩. القرطبي،محمد بن أحمد الأنصاري(ت: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**،دار الكتب العلميه،بيروت

٦٠. القزويني، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت: ٧٣٩ هـ)، شرح التلخيص في علوم البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان

٦١. القطان، إبراهيم،**تيسير التفسير** ،الطبعة الأولى، عمان، ١٩٨٣م

٦٢. قطب،سيد (ت: ١٣٨٥هـ) ،**في ظلال القرآن**،الطبعة الرابعة ،دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان.

٦٣. الكرمي،حسن سعيد،**الهادي إلى لغة العرب**،دار لبنان، بيروت ، ١٩٩٢م

٦٤. كشك ،عبد الحميد كشك ،**في رحاب التفسير**،المكتب المصري الحديث

٦٥. الكفوي، أبو البقاء ايوب ، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق**، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي،دمشق ١٩٧٦

٦٦. النسفي ،عبد الله بن أحمد(ت:٧١٠هـ)، **تفسير النسفي** ، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠٥م

٦٧. النووي، يحيى بن شرف بن مري، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ،الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي – بيروت،١٣٩٢هـ

٦٨. النيسابوري ،أحمد بن محمد، **الكشف والبيان**، تحقيق : أبو محمد بن عاشور، الطبعة : الأولى، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

Abstract

“Verses of the light (Al-Nour) In the Holy Quran"

Thematic Study

Prepared by:

Abdullah Hazem Naief Abu Ghazaleh

Supervisea by:

D.Abdulraheem Ahmed Al Zaqeh

The Verses of the Light [Al-Noor] in the Holy Quran is a research paper that falls in three chapters in addition to a comprehensive introduction and conclusion. The introduction discussed the definition of Al-Noor related to the classical and linguistic concepts of the Light, in comparison with comparative words of the Light.

Chapter One discussed the sources of Al-Noor; the Divine Light, the Holy Quran and Al-Noor in the Prophet Mohammad Sunnah (his way).

Chapter Two discussed the appearance of Al-Noor and its disappearance in man life, and it's divided into two sections: first one is Al-Noor Appearance and the second is its disappearance.

Chapter Three discussed the educational traces of Al-Noor and its effects on man related to: Acquisition of sainthood and divine support, and limitations, the Straight Path and Revival of the Heart, and good feeling.

The Conclusion included the results and recommendation of the research.

It's concluded that Al-Noor in the holy has many sources; all of them are related to God. As well, Al-Noor in Quran has many effects which are positive on individuals and society that the society near from Al-Noor of God is different from that which is far away.